# أثر أسلوب الجدل

## في تحقيق المقاصد القرآنية لسورة الزخرف


الباحثة

**د/ هند البسطويسي مصطفى عطا**

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر، مصر

# أثر أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية لسورة الزخرف

هند البسطويسي مصطفى عطا
قسم: التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: dr.hendata@azhar.edu.eg

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى بيان أثر أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية لسورة الزخرف، باعتباره أحد أهم الأساليب التي يستخدمها القرآن الكريم لإقناع العقل والدعوة إلى الحقّ، وبيان قواعد الإيمان وأصوله، ودحض شبهات المنكرين والردّ على افتراءاتهم. فالقرآن الكريم –بآياته السّامية– لا يحمل الناس على الحقّ حملاً؛ بل يريد منهم الامتثال له عن قناعةٍ تامّة بعد إحالةٍ على الفكر وإعمالٍ للذهن، ويناقش معهم قضايا جوهرية هي أصولٌ لهذا الدين كقضية التوحيد، والبعث، وصدق الوحي والنبوة، مناقشةً عقليّةً منطقيّة، بحيث لا يبقى للمناقَش أيّ عذرٍ في عدم الامتثال لهذا الحق ، ولا تكون له أيّة حجةٍ في الاستمرار على الباطل؛ بل يأخذ بعقله وقلبه معًا إلى الحقّ الذي لا محيص عنه، ويُلزِمه بالحجة عن بيّنةٍ واقتناع. والقرآن الكريم إذ يتّبع هذا الأسلوب فإنما يستعمله بما يتناسب مع ثقافة كل إنسان، مراعيًا جميع مستويات المعرفة والفهم لدى المخاطبين، بعيدًا عن الغموض والتعقيد، فيُحدث في العقول –على اختلاف مداركها– الاقتناع التام والحجة الواضحة.

وقد تناول البحث نموذجًا لأثر أسلوب الجدل في تحقيق مقاصد إحدى السور المكية، ألا وهي سورة: (الزخرف)؛ حيث إن هذا الأسلوب هو أبرز الأساليب التي تتجلى في تلك السورة الكريمة بشكلٍ واضح، بهدف ردّ شبهات المشركين ودحض أباطيلهم، وإقناع المخالفين بالبراهين العقلية والحجج المنطقية.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهجين: التحليلي والاستنباطي.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يكون مكونًا من مقدمة، ومبحثين؛ أما المبحث الأول فيتضمن: التعريف بسورة الزخرف، وبيان مقاصدها، وأما المبحث الثاني فيشتمل على: أسلوب الجدل القرآني في سورة الزخرف، وأثره في تحقيق مقاصدها. وخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، وفهارس: تتضمن أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

أهم التوصيات: أوصي الباحثين بما يلي:

- زيادة الدراسات القرآنية التي تعنى بأساليب القرآن الكريم، وبيان أثرها في تحقيق مقاصده.
- دراسة الترابط بين مقاصد كل سورة، وبيان العلاقة بينها وبين المقاصد القرآنية العامة.

المقارنة بين مقاصد السور المكية والسور المدنية، ودراسة مناسبتها لوقت نزول السورة.

الكلمات المفتاحية: جدل القرآن، مقاصد القرآن، سورة الزخرف، المقاصد القرآنية، أسلوب الجدل، فن الإقناع، الحوار القرآني.

# The Impact of the Quranic Method of Argumentation in Achieving the Objectives of Surah Az-Zukhruf

Hind Al-Bastawisi Mustafa Ata
Department of Tafsir and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Women in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt
Email: dr.hendata@azhar.edu.eg

## Abstract

This study aims to explore the impact of the Quranic method of argumentation in achieving the core objectives of Surah Az-Zukhruf, as it represents one of the most significant rhetorical tools employed by the Qur'an to engage the intellect, invite to truth, establish the foundations of faith, and refute the objections and fabrications of the deniers. The Quran does not compel belief through coercion; rather, it seeks voluntary conviction through rational engagement, thoughtful reflection, and clear reasoning. It addresses fundamental theological issues—such as the oneness of God (Tawḥīd), resurrection, the truth of divine revelation, and the authenticity of prophethood—through logical and intellectual argumentation that leaves no valid excuse for rejecting the truth. The Quran's use of argumentation reaches the minds and hearts of its audience, compelling them through persuasive evidence to accept the truth freely and knowingly.

This style is tailored to various levels of understanding and cultural backgrounds, ensuring clarity and accessibility, and generating rational certainty regardless of the intellectual capacity of the audience. The study presents Surah Az-Zukhruf as a prominent Makkan example of how argumentative discourse in the Qur'an is used effectively to refute the claims of polytheists, dismantle their falsehoods, and guide opponents through reasoned evidence and logical persuasion.

Research Methodology:

The study adopts both analytical and inferential approaches.

Structure:

The paper consists of an introduction and two main sections. The first section provides an overview of Surah Az-Zukhruf and outlines its major objectives. The second section examines the use of argumentative style within the surah and its effectiveness in achieving those objectives. A conclusion summarizes the key findings and recommendations, followed by indexes of references and topics.

Key Recommendations:

- Encourage more scholarly studies focused on the rhetorical methods of the Qur'an and their impact on fulfilling its divine purposes.
- Promote analytical studies that explore the relationship between the objectives of individual surahs and the broader aims of the Qur'an.

Compare the goals of Makkan and Madinan surahs and assess their alignment with the circumstances of their respective revelations.

Keywords: Quranic Argumentation, Quranic Objectives, Surah Az-Zukhruf, Quranic Discourse, Rhetoric Of Persuasion, Quranic Dialogue, Rational Proofs In The Qur'an

**بسم الله الرحمن الرحيم**

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، إمام الحق، ورسول الصدق، أرسله ربه بالهدى والبينات، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز، أنزله هدًى للناس، وخاطب به العقول والأرواح، أقام به الحجة، ودفع به الشبهة، وبيّن به الحق، وأزال به الباطل، وضرب فيه الأمثال.

وإن آيات هذا الكتاب المبين لتنفذ إلى داخل النفس فتملؤها طمأنينة وسكينة، وتنفذ إلى العقل فتملؤه قناعة ويقينًا، وتنفذ إلى أعماق الروح فتملؤها رضًا وتسليمًا، وتؤثر على الجوارح فتجعلها منقادة إلى طاعة الله ورضاه، بل وتؤثر على الجبال الشامخات فتراها خاشعةً متصدّعةً من خشية الله.

وإن القرآن الكريم بآياته السامية لا يحمل الناس على الحقّ حملاً؛ بل يريد منهم الامتثال للحقّ عن قناعةٍ تامّة بعد إحالةٍ على الفكر وإعمالٍ للذهن، ويناقش معهم قضايا جوهرية هي أصولٌ لهذا الدين كقضية التوحيد، والبعث، وصدق الوحي والنبوة، مناقشةً عقليّةً منطقيّة، بحيث لا يبقى للمناقَش أيّ عذرٍ في عدم الامتثال لهذا الحق ، ولا تكون له أيَّة حجةٍ في الاستمرار على الباطل؛ بل يأخذ بعقله وقلبه معًا إلى الحقّ الذي لا محيص عنه، ويُلزِمه بالحجة عن بيّنةٍ واقتناع.

ومن هنا كانت أهميّة أسلوب الجدل كأحد الأساليب القرآنية التي استعملها القرآن الكريم لإقناع العقل والدعوة إلى الحقّ، وبيان قواعد الإيمان وأصوله، ودحض شبهات المنكرين والمعاندين والردّ على افتراءاتهم.

والقرآن الكريم إذ يتّبع هذا الأسلوب فإنما يستعمله بما يتناسب مع ثقافة كل إنسان، مراعيًا جميع مستويات المعرفة والفهم، بعيدًا عن الغموض والتعقيد، فيُحدث في العقول –على اختلاف مداركها– الاقتناع التام والحجة الواضحة.

وقد كان للجدل القرآني دورٌ بالغ في تحقيق المقاصد التي من أجلها نزل القرآن الكريم، من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم، وهذا البحث يبين نموذجًا لأثر أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية لإحدى السور المكيّة، ألا وهي سورة (الزخرف)؛ حيث إن هذا الأسلوب هو أبرز الأساليب التي تتجلى في تلك السورة الكريمة بشكلٍ واضح، بهدف ردّ شبهات المشركين ودحض أباطيلهم، وإقناع المخالفين بالبراهين العقلية والحجج المنطقية.

فقد ضربت سورة "الزخرف" أروع مثال في إعجاز هذا القرآن، وطريقته الفذّة في الدعوة إلى الحق، وتبيين الرشد من الغي، واستعمال أقوى وسائل الجدل والإقناع، بالحكمة والموعظة الحسنة، مع سلاسة الأسلوب ووضوح العبارة، وهذا الأسلوب المعجِز هو ما يوصَف بـ "السهل الممتنع" الذي قد يُغري بالتقليد، ولكنه يستعصي عند محاولة التطبيق، لذلك أعجز العرب –وهم أرباب الفصاحة والبيان– فلم يستطيعوا الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله، وكيف

يمكنهم ذلك وهو تنزيل ربّ العالمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١) .

وبالنظر إلى أسلوب تلك السورة الكريمة في خطاب المشركين وجدالهم بالتي هي أحسن؛ بهدف دعوتهم إلى توحيد الله –تعالى– وتنزيهه عن الشريك والولد، والاعتراف بنبوة الرسول –ﷺ– والإيمان بالبعث والحساب والجزاء، والردّ على شبهاتهم الباطلة؛ يتبيّن كيف أن القرآن يسوقهم برفق إلى الحقّ من كل طريق، وكيف يرشدهم إلى الصواب من كلّ جهة، وكيف يحيطهم بأسباب الهداية من كلّ صوبٍ، ويقنعهم بالحجج بحيث لا يبقى لهم عذر، عن طريق الترغيب تارة وعن طريق الترهيب تارة أخرى، ومرّة بتوضيح المفاهيم وكشف حقائق الأمور، ومرّة أخرى بضرب المثل والتحذير من سوء العاقبة التي حلّت بأمثالهم من المكذبين السابقين، وأحيانًا باستخدام الفروض الجدلية بهدف إقناعهم وإلزامهم، وأحيانًا أخرى ببيان تناقضهم وتضارب أفكارهم... فلا يبقَى لهم بعد ذلك حجة في الاستمرار على التكذيب والعناد.

***

**أسباب اختيار الموضوع:**

١– رغبتي في خدمة كتاب الله – تعالى–، والتشرف بتدبر معانيه، والعيش في رحابه.

---

(١ ) فصلت: ٤٢

٢- إلقاء الضوء على أثر أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية، من خلال دراسة إحدى سور القرآن الكريم.

٣- بيان جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وقدرته البالغة على الإقناع، مع بساطة الأسلوب، وعمق التأثير في العقل والوجدان.

**أهمية البحث:**

تكمن أهمية البحث في بيان أثر أحد أساليب القرآن في تحقيق مقاصده، مما يبرز إعجاز القرآن الكريم في قوّة حجته، وسمو مقاصده، وبراعته في مخاطبته العقول والأرواح على السواء، ودحض شبهات المعاندين والمكذبين.

منهج البحث :

أولاً: المنهج التحليلي: "وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا"[١]، حيث قمت بدراسة آيات سورة الزخرف دراسة تحليلية، وتقسيمها بحسب أغراضها.

ثانيًا: المنهج الاستنباطي: "وهو منهج يبدأ من قضايا مبدئية يُسلّم بها إلى قضايا أخرى، تنتج عنها بالضرورة"[٢]، فبعد دراسة آيات السورة الكريمة دراسة تحليلية؛ قمت باستنباط مواضع الجدل من السورة، واستنباط أثر الجدل في تحقيق مقاصدها.

---

**(١ ) أبجديات البحث في العلوم الشرعية"- فريد الأنصاري: (ص: ٩٦) - ط. دار النجاح الجديدة- الدار البيضاء - ط . الأولى - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.**

**(٢ ) "مناهج البحث العلمي" د. عبد الرحمن بدوي: (ص:٨٢) ط. وكالة المطبوعات- الكويت- الطبعة: الثالثة- ١٩٧٧م.**

**خطة البحث:**

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مكونًا من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدّمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول : التعريف بسورة الزخرف، وبيان مقاصدها، ويتضمن:

- التعريف بسورة الزخرف
- المراد بالمقاصد القرآنية
- مقاصد سورة الزخرف

المبحث الثاني: أسلوب الجدل القرآني في سورة الزخرف، وأثره في تحقيق مقاصدها، ويشتمل على:

- أسلوب الجدل القرآني، وأهميته في تحقيق المقاصد القرآنية.
- مواضع الجدل في سورة الزخرف، وأثرها في تحقيق مقاصدها.

وخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث، والتوصيات.

-وفهارس: تتضمن أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

أسأل الله -تعالى- أن يُسهم هذا البحث في خدمة كتابه العظيم، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين، إنه وليّ ذلك وهو على كل شيء قدير، والحمد لله ربّ العالمين.

---

## المبحث الأول: التعريف بسورة الزخرف، وبيان مقاصدها

- **أولًا: التعريف بسورة الزخرف:**

سورة الزخرف مكية بإجماع أهل العلم(١)، ومحور الحديث فيها حول أسس العقيدة الصحيحة، ومحاجة المشركين لإبطال عقائدهم الفاسدة كما هو شأن السور المكية.

عدد آياتها: "تسع وثمانون آية في جميع المصاحف ما عدا المصحف الشامي، فعدد آياتها فيه ثمان وثمانون آية. اختلافها آيتان: ﴿حمٓ ۝١﴾ (٢) عدها الكوفي ولم يعدها الباقون، وقوله: ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾(٣) لم يعدها الكوفي والشامي وعدها الباقون"(٤) .

التسمية: سميت في المصاحف بـ "سورة الزخرف"، لما فيها من تشبيه متاع الدنيا الزائل بالزخرف اللامع في قوله تعالى:﴿ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٣٥ ﴾ (٥)، وهذه الكلمة لم تُذكر في غيرها من سور القرآن الكريم.

---

(١ ) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"- ابن عطية: (٥/ ٤٥) ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ١).

(٣ ) سورة "الزخرف"- من الآية: (٥٢).

(٤ ) "البيان في عد آي القرآن"- أبو عمرو الداني: (ص: ٢٢٣) ط. مركز المخطوطات والتراث- الكويت- الطبعة : الأولى- ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

(٥ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٣٥ ) .

وتسمى أيضًا بـ "سورة حم الزخرف" بإضافة كلمة "حم" إلى "الزخرف"، كما ذكر البخاري –رحمه الله– في صحيحه في كتاب التفسير – باب: تفسير "سورة حم الزخرف"(١) .

**المناسبات في السورة:**

**تناسب مفتتح السورة مع ختامها:**

المناسبة واضحة بين مطلع السورة الكريمة وبين ختامها، ففي كليهما حملة على عقائد المشركين عن طريق توجيه السؤال الإنكاري عمن خلقهم وخلق السموات والأرض، واعترافهم بأنه الله –تعالى–، ففي مطلع السورة قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (٢)، وفي ختام السورة قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٣) .

**مناسبة السورة لما قبلها:**

**المناسبة بين مفتتح السورة وختام ما قبلها:**

هناك مناسبة قويّة بين مفتتح سورة "الزخرف"، وبين ختام السورة التي قبلها وهي سورة "الشورى"، ففي كليهما حديث عن الوحي والرسالة، حيث ختمت سورة "الشورى" بالحديث عن القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

---

(١ ) "صحيح البخاري": (٤/ ١٨١٩) ط. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت– ط. الثالثة ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٩).

(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٧).

أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾(١)، وافتتحت سورة "الزخرف" بالحديث عن القرآن في قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ (٢) .

كما اختتمت سورة "الشورى" بالكلام عن الرسالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ (٣)، وافتتحت سورة "الزخرف" بالحديث عن الرسالة أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾ (٤).

**المناسبة بين مفتتح السورة ومفتتح ما قبلها:**

كلتا السورتين افتتحت بالحروف المقطعة ﴿حمٓ﴾، والحديث بعدها عن القرآن الكريم، ففي أول سورة "الشورى" يقول تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (٥) ، وفي أول سورة "الزخرف" قال سبحانه:﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾﴾(٦) .

---

(١ )سورة: "الشورى"- الآية:( ٥٢).
(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ( ١ – ٣).
(٣ ) سورة: "الشورى"- الآية:( ٥١).
(٤ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦ ).
(٥ ) سورة: "الشورى"- الآيات: (١ – ٣).
(٦ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ( ١ – ٣).

**المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:**

في السورتين الكريمتين حديث عن القرآن وإثبات صدق الوحي الرسالة، وبيان جزاء المؤمنين والمكذبين، وبيان دلائل قدرة الله ووحدانيته، فبين السورتين ارتباط وثيق وانسجام واضح في الموضوعات والأغراض.

- **ثانيًا: المراد بالمقاصد القرآنية:**

المقاصد لغةً: جمع مقصد، مشتقّ من الفعل الثلاثي: (قَصَد)، "والقصد: إتيان الشيء"(١). يقال: "قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً. ومن الباب: أقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه، وكأنّه قيلَ ذلك لأنَّه لم يَحِد عنه"(٢). ومقصد الكلام: مغزاه وما يراد منه(٣).

ويُعرّف الشيخ ابن عاشور المقاصد العامة للشريعة بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"(٤).

---

(١ ) "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"- الجوهري: (٢/ ٥٢٤)- مادة: (قصد)- ت: أحمد عبد الغفور عطار- ط. دار العلم للملايين – بيروت- ط. الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢ ) "معجم مقاييس اللغة"- ابن فارس: (٥/ ٩٥) مادة: (قصد)- ت: عبد السلام محمد هارون- ط. دار الفكر- ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣ ) يراجع: "الصحاح": (٦/ ٢٤٤٦)- مادة: (غزا).

(٤ ) "مقاصد الشريعة الإسلامية"- الطاهر بن عاشور: (٣/ ١٦٥) ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر-١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

**المراد بالمقاصد القرآنية:**

مقاصد القرآن على ثلاث درجات:

١- مقاصد الآيات: "وهو بيان المعاني والحِكَم المقصودة من كل آية من آيات القرآن ، وهذا النوع من مقاصد القرآن هو محل اهتمام عامة المفسرين، سواء كان ذلك مقصودًا وصريحًا منهم، أو فُهِم ضمنًا من كلامهم، وهو غرض المفسّر من تفسيره"(١).

٢- مقاصد السور: وهو "علم يُعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها"(٢)

وقد اهتم الإمام البقاعي(٣) -رحمه الله- بهذا العلم في كتابه: "مصاعد النَّظَر للإشراف على مقاصد السور" والمسمى أيضًا بـ : "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، وقد عرّفه بأنه: "علم يعرف منه مقاصد سور

---

**(١ ) "مقاصد المقاصد- الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة"- د. أحمد الريسوني: (ص: ٩)- ط. دار الشبكة العربية للأبحاث- ط. الأولى ٢٠١٣م- بيروت.**

**(٢ ) "علم مقاصد السور"- د. محمد الربيعة-(ص: ٧)- ط. مكتبة الملك فهد- ط. الأولى- الرياض- ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م.**

**(٣ ) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥ هـ. يراجع: " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"- السخاوي: (١/ ١٠١) ط. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"- الشوكاني: (١/ ١٩) ط. دار المعرفة - بيروت، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"- ابن العماد: (٩/ ٥٠٩) ت: محمود الأرناؤوط- ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.**

القرآن. وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها. وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة. ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير. ونوعه: التفسير. ورتبته: أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً"(١).

ويُعرَف هذا العلم بالنظر في اسم السورة، وموضوعاتها، ومعرفة أسباب النزول، وفهم سياق الآيات، ودراسة المعاني والأغراض الأساسية التي يدور عليها محور السورة.

ويبين البقاعي –رحمه الله– أهمية معرفة اسم السورة في معرفة مقاصدها، كما يبين أهمية معرفة مقاصد السورة في معرفة تفسيرها بقوله: "إن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها"(٢) .

٣– المقاصد القرآنية العامة: "وهي الغايات الكبرى والمقاصد الجامعة التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس، وتوجيههم إليها، وحثّهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه، سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه"(٣) .

---

(١ ) "مصاعد النَّظَر للإشراف على مقاصد السور"– البقاعي: (١/ ١٥٥) ط. مكتبة المعارف – الرياض– الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢ ) "مصاعد النَّظَر للإشراف على مقاصد السور" (١/ ١٤٩).

(٣ ) "مقاصد المقاصد"– د. أحمد الريسوني: (ص: ١٠).

والمقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم هو هداية الخلق ودعوتهم إلى الله –عز وجل– ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله، ومعرفة الطريق الموصّل إلى الله – تعالى–، ويتبع هذا المقصد إثبات البعث والحساب، وبيان الجزاء الذي أعده الله –ﷻ– للمؤمنين والكافرين في الآخرة، وقصّ قصص الأنبياء مع أقوامهم وبيان عاقبة المكذبين للرسل لما في ذلك من العظة والاعتبار، ومُحاجَّة الكافرين ومجادلتهم بالحجة والبرهان الواضح وكشْف أباطيلهم، وتوضيح المعاملات التي تنظم العلاقة بين الناس، وتشريع الأحكام الذي تنظم أمور معاشهم، والسبيل إلى تزكية النفس وإصلاحها وتهذيبها(١) .

وقد بيّن الله –تعالى– الغاية من نزول القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢)، فكان الهدف الأعلى منه هو: صلاح أحوال الناس الفردية، والجماعية، والعمرانية، كما ذكر ابن عاشور –رحمه الله– في مقدمة تفسيره، ويبين ذلك قائلًا: "فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم

---

(١ ) يراجع: "جواهر القرآن"– أبو حامد الغزالي: (٢٣– ٢٥) ت: د. محمد رشيد رضا القباني– ط. دار إحياء العلوم، بيروت– الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٢ ) سورة: "النحل"– الآية: (٨٩).

مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية. وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، وراعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع. فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين"(١) .

وترجع مقاصد سور القرآن وآياته إلى مقاصد القرآن الأساسية وغاياته الكبرى، ولكل سورة جهة معينة في الوصول إلى هذه المقاصد.

**ثالثًا: مقاصد سورة الزخرف:**

لكل سورة من سور القرآن الكريم مقاصد وغايات مقصودة، وبالنظر في الموضوعات التي تناولتها سورة الزخرف وفهم سياق الآيات، يتبين أن محور السورة يدور حول بيان أصول الإيمان وأسس العقيدة الصحيحة، من الإيمان بالله –تعالى– وحده، وبرسالة النبي –ﷺ– والإيمان بالبعث والحساب والجزاء، ومحاجة المشركين في هذه القضايا الأساسية، ويمكن إجمال أهم ما اشتملت عليه السورة من مقاصد فيما يلي:

١– التحدي بإعجاز القرآن الكريم، كدليل على صدق النبي –ﷺ– في دعوى النبوة.

---

(١ ) "التحرير والتنوير": (١/ ٣٨، ٣٩).

٢- التعجيب من حال المشركين الذين يعترفون بأن الله -تعالى- هو خالقهم وخالق الكون بما فيه، ومع ذلك يشركون معه آلهة لا تضر ولا تنفع ولا تملك لنفسها شيئًا.

٣- إبطال ألوهية كل ما عدا الله -ﷻ-، وإبطال البنوّة لله -تعالى- سواء في ذلك الملائكة أو غيرهم.

٤- تشبيه متاع الدنيا الزائل بالزخرف اللامع الذي ينخدع به كثير من الناس، والتحذير من الافتتان بها، وبيان أنها لا تساوي عند الله -تعالى- جناح بعوضة، ولذلك يعطيها للمؤمن والكافر، أما الآخرة فهي خاصة بالمتقين.

٥- الردّ على جهالات المشركين، وإبطال دعاواهم الكاذبة، وبيان فساد معتقداتهم، وجدالهم بالتي هي أحسن.

٦- التذكير بأحوال الأمم السابقة مع رسلهم، والإنذار من مثل عواقبهم.

٧- بيان جزاء المتقين، وعقاب المجرمين

٨- تلقين النبي -ﷺ- الحجة التي تخرس ألسنة المشركين، وتسليته عما يلاقيه من لجاجهم وجدالهم بالباطل.

"وقد رتبت هذه الأغراض وتفاريعها على نسج بديع وأسلوب رائع في التقديم والتأخير والأصالة والاستطراد على حسب دواعي المناسبات التي اقتضتها البلاغة ، وتجديدُ نشاط السامع لقبول ما يُلقى إليه . وتخلّل في خلاله من الحجج والأمثال والمُثل والقوارع والترغيب والترهيب شيء عجيب ، مع دحض شبه المعاندين بأفانين الإقناع بانحطاط ملّة كفرهم وعَسْف معوِّج سلوكهم .

وأدمج في خلال ذلك ما في دلائل الوحدانية من النعم على النّاس والإنذار والتبشير"(١).

وسيأتي بمشيئة الله –تعالى– بيان مواضع هذه المقاصد من السورة الكريمة في المطلب الثاني: " مواضع الجدل في سورة الزخرف، وأثرها في تحقيق مقاصدها".

***

(١ ) "التحرير والتنوير": (٢٥/ ١٥٩).

## المبحث الثاني

## أسلوب الجدل القرآني في سورة الزخرف، وأثره في تحقيق مقاصدها

### المطلب الأول: أسلوب الجدل القرآني، وأهميته في تحقيق المقاصد القرآنية

**تعريف الجدل:**

الجدَل هو: "مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة. والمُجَادَلَةُ: المُناظَرَةُ والمخاصَمة"(١). أصله: من الجَدْل، وهو: شِدَّة الفَتْل، وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إذا شددت فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلاً مُحْكَماً، والجَدَل: اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها(٢)، فالمادة تدور حول " استحكام الشيء، وامتدادِ الخصومة، ومراجعةِ الكلام "(٣).

ويمكن تعريف الجدل والجدال بأنه: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم"(٤).

**أنواع الجدل:**

قد يكون الجدال محمودًا أو مذمومًا بحسب الغاية التي يُستخدم من أجلها، وبحسب الوسيلة أو الطريقة التي يُستخدم بها؛ فإذا كان من أجل إحقاق الحق وإثباته، وكانت طريقته صحيحة سليمة وليس الغرض منه مجرد غلبة الخصم

---

(١ ) "النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير: (١/ ٧٠٧) ط. المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢ ) "لسان العرب":(١٠٣/١١) -مادة:(جدل)- ط. دار صادر - بيروت- الطبعة الأولى.

(٣ ) "معجم مقاييس اللغة": (١/ ٤٣٣)- مادة: (جدل).

(٤ ) "مباحث في علوم القرآن"- مناع القطان: (ص: ٣٠٩) ط. مكتبة المعارف- الطبعة: الثالثة- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

أو المكابرة؛ كان الجدال محمودًا، وهو ما أمر القرآن الكريم به في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٢). يقول ابن كثير –رحمه الله–: "أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"(٣)، أما إذا كان الغرض من الجدال مجرد إفحام الخصم واللجاج في الخصومة، وتشويه الحقائق، أو كان بطريقةٍ تتنافى مع الحكمة والموعظة الحسنة، فهو الجدال المذموم الذي نهى عنه الشرع، ومن هذا ما حكاه الله عن المشركين في قوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٤) ، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٥) .

**جدل القرآن:**

القرآن الكريم هو رسالة الله إلى الناس كافة، أرسل به رسوله –ﷺ– ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، ويرشدهم إلى الحق، ويهديهم إلى خير الدنيا والآخرة،

(١ ) سورة: "النحل"– الآية:( ١٢٥).
(٢ ) سورة: "العنكبوت"– من الآية: (٤٦).
(٣ ) "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٤/ ٣١٦) ت: سامي بن محمد سلامة– ط. دار طيبة –الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
(٤ ) سورة: "الكهف"– من الآية: (٥٦).
(٥ ) سورة: "غافر"– الآية: (٥٦).

وبالرغم من وضوح الحق وجلائه، إلا أن بعض النفوس تأبى إلا العناد والمكابرة، فيشوهون الحقائق، ويثيرون الشبهات الباطلة، فيكونون في حاجة إلى مقابلتهم بالحجة والبرهان، ومقارعتهم بالدليل والبيان، ولقد واجهت دعوة القرآن –منذ الوهلة الأولى– الكثير من أمثال هؤلاء الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فجادلهم القرآن ببيانه المعجز، وأسلوبه المقنع، واستدلاله الملزِم.

إلا أن القرآن الكريم لم يسلك طريقة المتكلمين في الجدل التي تعتمد على المقدّمات والنتائج التي تحتاج إلى مزيد من إعمال الفكر وكثير البحث، بل أورد الحجج والبراهين لمحاجة خصومه في أوضح صورة، بحيث يفهمها العامة والخاصة، بأسلوب يتّسم بالبساطة دون أدنى تعقيد، مع سلامة التركيب ووضوح النتائج، ويجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، فتراه يخاطب العقول والقلوب معًا آخذًا بأصحابها نحو الحق الذي لا محيد عنه.

يؤكد هذا المعنى ما نقله السيوطي –رحمه الله– في كتابه (الإتقان)؛ حيث قال: "اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طُرُق المتكلمين لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ** ﴾ (١) .

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي من الكلام؛ فإن من استطاع أن يُفْهِم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط

(١ ) سورة: "إبراهيم"– من الآية:( ٤).

إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزا، فأخرج –تعالى– مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جليِّها ما يُقنعهم وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء"(١) .

**أهمية أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية:**

لأسلوب الجدل أثرٌ بالغ في تحقيق المقاصد والغايات التي من أجلها نزل القرآن الكريم، من إثبات وحدانية الله –تعالى–، وإثبات الوحي والرسالة، وإثبات البعث والحساب والجزاء، والردّ على شبهات المشركين وأباطيلهم، وغير ذلك من مقاصد القرآن، وفيما يلي أمثلة على أهم المقاصد القرآنية التي كان لأسلوب الجدل دورٌ بارزٌ في تحقيقها:

**أولًا: إثبات وحدانية الله –تعالى–:**

ورد أسلوب الجدل في القرآن الكريم لإثبات وحدانية الله –تعالى– بطرقٍ متعددة، منها:

١– دليل التمانع المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) ، وبيان ذلك كما ذكر السيوطي –رحمه الله– في "الإتقان": "أنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما؛ وذلك لأنه

---

(١ ) "الإتقان في علوم القرآن"– جلال الدين السيوطي: (٤/ ٦٠) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم– ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٢ ) سورة: "الأنبياء"– الآية: (٢٢ ).

لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته؛ فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزئ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما ألا تنفذ إرادتهما، فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزا"(١) .

٢- الاستدلال بالنقيض: والمراد به: إثبات الأمر بنقيض ضده، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(٢)، ففي الآية إثبات للوحدانية بإبطال الشرك لأنه سيؤدي إلى التنازع الذي ينافي الألوهية، والمعنى: "لو كان مع الله إلها آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدّ كل واحد منهما بملكه، وطلب غلبة الآخر والعلوّ عليه كما هو حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة: علمنا أن مالكه ومدبره واحد، لا إله غيره"(٣).

٣ – مطالبة الخصم بدليل على صدق دعواه، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾(٤)،

---

(١ ) "الإتقان في علوم القرآن"- السيوطي: (٤/ ٦٣).

(٢ ) سورة: "المؤمنون"- الآية: (٩١).

(٣ ) "التسهيل لعلوم التنزيل"- ابن جزي: (٢/ ٥٦) ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

(٤ ) فاطر: ٤٠

والمعنى: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدون من دون الله، هل هناك من دليل على استحقاقهم الألوهية، وإشراكهم لله في العبادة؟ هل خلقوا شيئا من الأرض؟ أم هل اشتركوا مع الله في خلق السماوات وملكها والتصرف فيها ؟ أم هل آتيناهم كتابًا يقرر لهم الشرك، ويكون دليلًا لهم وحجة على ادّعائهم؟ وإذا لم يكن شيءٌ من ذلك بطل ما يدّعون من الشرك، وثبت نقيضه، وهو وحدانية الله -عز وجل-.

٤- أسلوب التحدي، كما في قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) .

٥- كشف حقائق الأمور، وضرب الأمثال، وذلك ببيان ضعف معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله -تعالى-، كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٣).

**ثانيًا: تنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن اتخاذ الولد:**

من المقاصد القرآنية إبطال قول من زعم أن لله -سبحانه وتعالى- ولدًا، ومن طرق الجدل القرآني لإبطال هذا الادّعاء:

---

(١ ) الإسراء: ٥٦
(٢ ) سبأ: ٢٢
(٣ ) الحج: ٧٣

١- ردّ المسألة إلى أمور بدهية معروفة، وحقائق مشهورة مألوفة يعجز أمامها المجادل، كما في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾(١)، "فقد اتَّجه الاستدلال القرآني على بطلان مُدّعاهم إلى أمر معروف مشهور مألوف لا يماري فيه أحد، وهو أنَّه لو كان له ولد لكان له صاحبة، ولم يدع أحد أن لله تعالى صاحبة، فبطل أن يكون له ولد، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا"(٢) .

٢- التسليم: "وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويبين عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ (٣) ، والمعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه – ﷻ– إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلوّ بعضهم

(١ ) سورة: "الأنعام"- الآيات: (١٠١ – ١٠٣).

(٢ ) "المعجزة الكبرى القرآن"- محمد أبو زهرة (ص: ٢٧٧) ط. دار الفكر العربي.

(٣ ) سورة: "المؤمنون"- الآية: (٩١).

على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعدا محال؛ لما يلزم منه المحال"(١).

**ثالثًا: إثبات تفرد الله –تعالى–بالقدرة الله على الإحياء والإماتة:**

وقد جاء إثبات هذا المقصد القرآني بأسلوب جدليّ يُعرف بـ "الانتقال"، وهو: "أن ينتقل المستدل إلى استدلال آخر غير الذي كان آخذا فيه، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول"(٢)، من ذلك ما حكاه الله –تعالى– عن الخليل إبراهيم –عليه السلام– في مجادلة النمرود الذي ادّعى الألوهية، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾(٣)، فلمّا غالط الخصم في المجادلة انتقل الخليل إبراهيم –عليه السلام– إلى دليل آخر لا يجد منه مهربًا، فأفحمه من أقرب الطرق وأقواها إلزامًا.

**رابعًا: إثبات صدق الوحي والرسالة:**

وهو من المقاصد الرئيسة للقرآن الكريم، وقد جاء تحقيق هذا المقصد بأكثر من أسلوبٍ للجدل، منها:

---

(١ ) "**الإتقان**": (٤/ ٦٥).

(٢ ) "**المصدر السابق**": (٤/ ٦٦)

(٣ ) سورة: "**البقرة**"– الآية: (٢٥٨).

١- إلزام المخاطب بطريق الاستفهام عمّا هو مسلّم به عنده، حتى يصل به إلى الاعتراف بالحق الذي ينكره، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ (١)، فلما أنكر المشركون رسالة النبي -ﷺ- ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، أمر الله -تعالى- نبيه -ﷺ- أن يُلزِمَهم بما يخرس ألسنتهم ويردّ على نفيهم العام للرسالة بإثبات قضية جزئية بديهية التسليم(٢)، سائلًا لهم بهذا الاستفهام الإنكاري: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟ والذي يعرفونه ويذكرونه، ففي هذا تقرير من الله -تعالى- بأن الله الذي نزّل الكتاب على موسى-عليه السلام- هو من أنزل الكتاب على رسوله محمد -ﷺ-، فهذه الكتب السماوية تنبع من مشكاةٍ واحدة ويكمل بعضها بعضًا، وهذا الأسلوب يؤدّي بهم إلى الاعتراف بما ينكرونه من نبوّة الرسول -ﷺ- ورسالته.

٢- "مجاراة الخصم ليعثر"، وهو من الأساليب الجدالية التي استخدمها القرآن الكريم لإثبات رسالة الرسل -عليهم السلام-، وقد عرفه السيوطي -رحمه الله- بقوله: "أن يسلم ببعض مقدمات الخصم حيث يراد تبكيته وإلزامه"(٣)، أي:

---

(١ ) سورة: "الأنعام"- الآية: (٩١).

(٢ ) يراجع: التفسير الوسيط للقرآن الكريم"- أ. د/ محمد سيد طنطاوي: (٥/ ١٢٦ ) ط. دار نهضة مصر – القاهرة-الطبعة: الأولى- ١٩٩٨.

(٣ ) "الإتقان": (٤/ ٦٦).

يكون فيه مجاراة لقول الخصم، ثم التعقيب عليه بما يقلب عليه نتيجة قوله، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن الرسل مع أقوامهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (١).

"ففيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مرادا؛ بل هو من مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشرا حقّ لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمنّ الله –تعالى– علينا بالرسالة"(٢) .

**خامسًا: إثبات البعث والمعاد:**

من المقاصد القرآنية التي أكّد القرآن الكريم عليها كثيرًا: إثبات قضية البعث والجزاء، وذلك لما لاقته هذه القضية من إنكارٍ شديد لدى المشركين، وقد جادلهم القرآن بطرقٍ متعددة لإثبات هذه القضية، ومن ذلك:

١– قياس الإعادة على الابتداء: بمعنى الاستدلال بالمبدأ على المعاد، في قوله تعالى:﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (١).

---

(١ ) سورة: " إبراهيم"– الآيتان: (١٠ – ١١).

(٢ ) "الإتقان": (٤/ ٦٦).

(٣ ) سورة: "الأعراف"– من الآية: (٢٩).

٢- قياس الأوْلى: بقياس إحياء الموتى على خلق السموات والأرض بطريق الأولى. قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٢).

٣- قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، في قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣).

٤- قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٤).

هذه بعض نماذج استخدام القرآن لأسلوب الجدل من أجل تحقيق مقاصده العامة، ولم أُرِد بما ذكرت إحصاء طرق القرآن في جدله، ولا استقصاء أثر ذلك في تحقيق مقاصده، فإن ذلك مما يعجز عنه الفرد، ويضيق به المقام، وإنما أردت فقط الإشارة إلى بعض طرق الجدل القرآني، وبيان كيف أنها تُسهم بشكلٍ واضح في تحقيق مقاصده من الهداية والبيان، والله أعلم.

***

(١ ) سورة: "الأنبياء"- الآية:( ١٠٤).
(٢ ) سورة: "يس"- الآية:(٨١).
(٣ ) سورة: "الروم"- الآية:( ١٩).
(٤ ) سورة: "يس"- الآيتان:( ٧٩ – ٨٠).

**المطلب الثاني: مواضع الجدل في سورة الزخرف، وأثرها في تحقيق مقاصدها**

**الموضع الأول: جدال الآيات للمشركين في إعراضهم عن القرآن وتكذيبهم للرسول -ﷺ-:**

قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾ (١).

افتتحت السورة الكريمة بهذه الحروف المقطّعة (حم) التي تنبّه على إعجاز القرآن ، وأنه مؤلف من كلام هو من جنس كلامهم ، ومع ذلك فقد عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، ثمّ أقسم الله -تعالى- بالكتاب المبين -وهو القرآن- على أنه جعله -سبحانه- قرآنًا عربيًّا، وبيّن الحكمة من ذلك، وهي أن يعقلوا معانيه، ويفهموا أوامره ونواهيه، ويهتدوا إلى ما فيه من هداية وإرشاد، وهذه هي سنة الله -تعالى- في إرسال الرسل، أن كلّ رسولٍ يُبعث بلغة قومه ليبيّن لهم أمر دينهم ؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾(٢) ، والملاحظ هنا أنّ الله -تعالى- أقسم بقوله: ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ وهو القرآن -ولا يُقسم إلاّ بعظيم- وجعل جواب القسم تعظيم القرآن في قوله

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: (١ – ٨).

(٢ ) سورة: (إبراهيم) – من الآية: (٤).

تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، "وهو من الأيمان الحسنة البديعة، لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من وادٍ واحد" كما يقول الزمخشري –رحمه الله(١).

ثمّ وصف الله – سبحانه – القرآن في اللوح المحفوظ عنده بأنه (علي حكيم) أي: "رفيع القدر محكم النظم لا يوجد فيه اختلاف، ولا تناقض"(٢)، قال الزجاج: (أم الكتاب) أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمُّه، والقرآن مثبت عند اللَّهِ في اللوح المحفوظ(٣) ، والدليل على ذلك قوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ (٤) .

وهنا يوجّه الله – تعالى– سؤالاً استنكاريًّا مباشرًا للمشركين المكذبين بالوحي المعرضين عنه على سبيل التقريع لهم وإقامة الحجة عليهم، وهو أوّل موقف من مواقف الجدال والمناظرة لهم في هذه السورة الكريمة ، فيخاطبهم تعالى قائلاً: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾

---

(١ ) "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"– أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله: (٤/ ٢٣٦)– ط. دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٢ ) "فتح القدير"– محمد بن علي الشوكاني: (٤/ ٦٢٧ ) ط. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

(٣ ) "معاني القرآن وإعرابه"– أبو إسحاق الزجاج: (٤/ ٤٠٥)–ت: عبد الجليل عبده شلبي– ط. عالم الكتب – بيروت– الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٤ ) سورة: "البروج"– الآيتان: (٢١ – ٢٢).

هذا الاستفهام الإنكاري بما فيه من معنى التهديد لهم والتوبيخ والتعريض بهم، إلا أنه يحمل في طيّاته حرصًا عليهم وعلى هدايتهم، فمع أنّ في طريقة استقبالهم لهذا الوحي الذي فيه ذِكْرُهم وشرفهم وسعادتهم وصلاح أحوالهم، وفي إسرافهم في الإعراض عنه ومحاربتهم له، ما كان كافيًا لصرفه عنهم وتحوله إلى غيرهم. إلا أن الله –تعالى– اقتضت حكمته ورحمته –سبحانه– تذكير الناس مرة تلو الأخرى، وبيان الرشد من الغيّ، وقصّ أحوال السابقين من الأمم الماضية، حتى تلزمهم الحجة، ثم هم بعد ذلك يُسرفون في التكذيب والإنكار، بدلاً من المبادرة إلى هذا الخير الذي بين أيدهم.

والضَّرْب عن الشيءِ: الكَفّ والإعراض عنه، "وضَرَبَ عنه الذِّكْرَ، وأَضْرَبَ عنه: صَرَفَه، وأَضْرَبَ عنه: أَي أَعْرَض، والمعنى: أَنُهْمِلكم فلا نُعَرِّفُكم ما يَجب عليكم لأَنْ كنتم قوماً مُسْرِفين؟!"(١) .

يقول صاحب (التحرير والتنوير) في معنى الآية: "أتحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجدد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن؟ فلما أريدت إعادة تذكيرهم وكانوا قد قدم إليهم من التذكير ما فيه هديهم لو تأملوا وتدبروا، وكانت إعادة التذكير لهم موسومة في نظرهم بقلة الجدوى؛ بين لهم أن استمرار إعراضهم لا يكون سببا في قطع الإرشاد عنهم، لأن الله رحيم بهم مريد لصلاحهم لا يصده إسرافهم في الإنكار عن زيادة التقدم إليهم بالمواعظ والهدي"(٢).

---

(١ ) **يراجع: "لسان العرب"– ابن منظور: (١/ ٥٤٣)– مادة: (ضرب).**

(٢ ) **"التحرير والتنوير"– محمد الطاهر بن عاشور : (٢٥/ ١٦٣).**

ويتابع الله –تعالى– محاجتهم عن طريق تذكيرهم بسنن السابقين المكذبين بالرسل وبالآيات قائلا– جل وعلا–: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾:

فهذه سنة الله بمن فعل مثل فعلكم من التكذيب والاستهزاء برسل الله، فاحذروا أن يحل بكم مثل ما حلّ بهم من العذاب، وإياكم أن تصيروا إلى نفس مصيرهم، "وهذه الآيات تقرر مضمون ما قبلها ببيان أن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه –تعالى– من إرسال الأنبياء إليهم"(١)، وفيه تسلية للنبي –ﷺ– عما يلقاه من صدود قومه وإعراضهم واستهزائهم.

ونظير تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝١١ ﴾(٢).

وبهذا لم يبق أمامهم عذر في عدم الإيمان بما جاء به النبي –ﷺ – من القرآن، ولم يبقَ لديهم سبب للإصرار على التكذيب والعناد.

والملاحظ في الآيات العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، في قوله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ فالضمير ﴿ مِنْهُم ﴾ يعود على

---

(١ ) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"– أبو السعود: (٨/ ٤٠) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢ ) سورة: "الأنبياء"– الآيتان: (١٠ – ١١).

المسرفين المخاطبين في قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ ، وهو ما يسميه البلاغيون بـ "الالتفات"(١)، فقد أعرض عنهم وصرف الخطاب إلى رسول الله -ﷺ- يخبره عنهم تسليةً له -ﷺ- عن استهزاءهم، "وتعريضا بزجرهم عن إسرافهم في الإعراض عن النظر في القرآن"(٢).

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

**أسلوب الجدل في الآيات السابقة واضحٌ وجليّ؛ حيث جاء في أكثر من صورة، منها:**

١- أسلوب التحدّي: الذي جاء عن طريق افتتاح السورة الكريمة بالأحرف المقطّعة، مع الإشارة إلى كون القرآن عربيًّا. فهو تحدٍّ صريح لهؤلاء المشركين الذين ينكرون أن القرآن وحيٌ من عند الله -تعالى-؛ كأنه يخاطبهم قائلًا: إن كنتم في شكٍّ من كون هذا القرآن من عند الله، فلمَ عجزتم عن الإتيان بمثله، مع كونه نزل بلغتكم، ومؤلّفٌ من نفس الحروف التي تنظمون منها كلامكم؟!

---

**(١ ) الالتفات: لغةً: تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضْعٍ آخر. واصطلاحًا: هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم - والخطاب - والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلاً دون التحوّل عنها. لأغراض بلاغية. "البلاغة العربية"- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني: (١/ ٤٨٠) ط. دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.**

**(٢ ) "التحرير والتنوير": (٢٥/ ١٦٥)، ويراجع: "الكشاف": (٤/ ٢٣٧).**

٢- أسلوب الاستفهام الإنكاري المتضمّن للتوبيخ، مع الحرص عليهم وعلى هدايتهم في قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

٣- أسلوب التهديد عن طريق التذكير بعاقبة المكذبين المستهزئين بالرسل السابقين، وأن ذلك كان سببًا لهلاكهم واستئصال شوكتهم، هذا الأسلوب الذي يحمل في طيّاته التحذير لهم من أن يسلكوا نفس طريقهم، فيحلّ بهم مثل ما حلّ بمن قبلهم.

٤- أسلوب الالتفات في قوله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾، والذي فيه معنى الإعراض عنهم، لزجرهم عن إسرافهم في إعراضهم عن القرآن.

كل هذه الأساليب للجدل القرآني تُسهم بقوّة في بيان أن القرآن وحيٌ من عند الله-ﷻ-، وأنه معجزته الخالدة الدّالة على صدق النبي -ﷺ- ، كما تُسهم في دعوة المشركين إلى الإيمان بهذا القرآن، والاعتراف بنبوة النبي -ﷺ-، وذلك من المقاصد الأساسية للسورة الكريمة.

*****

**الموضع الثاني: جدال الآيات للمشركين في إثبات وحدانية الله –تعالى، وإثبات قضية البعث:**

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

تواصل الآيات الاحتجاج على هؤلاء المشركين احتجاجًا يوجب عليهم التناقض في أمرهم، ويقيم الحجة عليهم، فهم يخادعون أنفسهم، ويستخفون بعقولهم، ذلك أنهم يعترفون أن الخالق لهم وللسموات والأرض هو الله –عز وجل–، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾(٢)، كما قال سبحانه في ختام السورة حكاية عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٣)، فإذا كان الله العزيز العليم هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، فلماذا يعبدون من دونه آلهةً لا تضر ولا تنفع؟! وما فائدة هذه الأصنام بالنسبة لهم؟! كان الأحرى بهم أن يتوجهوا

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآيات: (٩ – ١٤).
(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: (٩).
(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية:(٨٧).

بالعبادة إلى هذا الخالق وحده لا شريك الله، الموصوف بصفات الألوهية والربوبية، المنعوت بكل جلال وكمال، فإن مَن آمن بتفرّد الخالق في الخلق والملك والتدبير؛ لزمه بأن يُفرده بالعبادة، وأن يخصّه بصفات الجلال والكمال.

ثمّ وصف الحقّ –سبحانه تعالى– نفسه بصفات أخرى مشيرًا إلى قدرته المطلقة، وإلى بعض نِعَمِه –تعالى– عليهم، لعلهم يرجعون عن غيّهم، ويعودون إلى صوابهم، مبيّنًا لهم أنّ الله الذي خلق السموات والأرض، هو ذاته ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ أي: جعل لكم الأرض كالفراش الممهّد، حيث بسطها لكم، وجعلها صالحة لسيركم عليها، ولإنبات الزروع فيها، "وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا طرقا بين الجبال والأودية ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ في سيركم من بلد إلى بلد"(١) .

ثم وصف الله– تعالى– نفسه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾

أي: وهو– سبحانه– الذي أنزل من السماء ماءً بمقدار معين على قدر حاجتكم ومصلحتكم، فلم يجعله كثيرًا كالطوفان، فيكون عذابا عليكم، ولا قليلا لا ينبت الزرع والنبات، ولكنه جعله بقَدَرٍ يُحيِي به الأرض المجدبة بعد موتها(٢)، ثمّ وجّه الله –سبحانه– الخطاب إليهم قائلاً لهم: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

---

(١ ) "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢١٩).

(٢ ) يراجع: "جامع البيان"– ابن جرير الطبري: (٢١/ ٥٧٢، ٥٧٣) ت: أحمد محمد شاكر – ط. مؤسسة الرسالة – الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

أي: ومثل ذلك الإخراج للنبات والزرع من الأرض الميتة، تُخرجون -أيها الناس- بعد موتكم وفنائكم.

انظر كيف يُثْبِتُ لهم الله -تعالى- حقيقة البعث بعد الموت بهذا المثال البسيط، عن طريق قياس الشيء الغائب عن فهمهم على الشيء المحسوس المشاهَد لديهم، إقامةً للحجة عليهم، وهو ما يسمى بـ "القياس التمثيلي"(١) ؛ حيث بين الله -تعالى- أن بعثهم بعد الموت يشبه تمامًا إخراج النبات والزرع من الأرض المجدبة الميتة، فهو سبحانه قادر على إحيائكم بعد الموت كما أحيا الأرض الميتة بالنبات. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾(٢)، وقوله عز وجل: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾(٣).

ثم وصف الله -سبحانه- ذاته بصفةٍ ثالثة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟

---

(١ ) هو: الاستدلال بالشيء على مثله، أو هو: كون الفرع شبيها بالأصل، بجامع بينهما. وقد ذكر الزركشي -رحمه الله- أن القياس في نظر الأصوليين يرجع إلى: الاستدلال بحكم شيء على آخر من غير أن يكون أحدهما أعم من الآخر، قال: ويسميه قوم "التمثيل". يراجع: "البحر المحيط في أصول الفقه"- الزركشي: (٧/ ٢٩٣) ، (٧/ ١١) ط. دار الكتبي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢ ) سورة: (فاطر)- الآية: (٩).

(٣ ) سورة: (الحج)- الآيتان: (٥، ٦).

نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

تشير الآيات إلى نعم أخرى من نعم الله –تعالى– على عباده؛ حيث خلق الأزواج كلها من النبات والحيوان والإنسان، بل ومما لا يعلمون، وبهذا يتم حفظ النوع ويجد الإنسان كفايته وحاجته مما على وجه الأرض عن طريق هذا التزاوج والتوالد والتكاثر، ثم تشير الآيات إلى نعمةٍ أخرى من نعم الله على هذا الإنسان الذي جعله خليفة في الأرض وسخر له ما يحتاجه من وسائل الركوب في البرّ والبحر، وفي الوقت ذاته تبين الآيات الواجب على الإنسان لشكر هذه النعمة كلما استعملها، ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ذلك ليبقى الإنسان على صلةٍ وثيقة بربه –عز وجل– الذي سخّر له هذه النعم، وليتذكر أنها إنما حصلت له بقدرة الله العزيز العليم، وليعلم أنه راجعٌ إلى ربه فمجازيه على أعماله، وليكون دائمًا مستعدًّا لهذا اللقاء.

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

اشتملت الآيات الكريمة الماضية على عدّة أساليب للجدل، منها:

١– إثبات تناقض المشركين مع أنفسهم، حيث يعترفون بأنّ الله –تعالى– هو خالق السموات والأرض، ومع ذلك يشركون معه في العبادة آلهة أخرى لا تضرّ ولا تنفع! مما يستدعي التعجيب منهم ومن حالهم.

٢- القياس التمثيلي: عن طريق ضرب المثل، وقياس الأمر الغائب عن الحسّ على الشيء المشاهَد المحسوس، في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾؛ حيث أثبت الله -تعالى- لهم حقيقة البعث، بقياسه على خروج النبات من الأرض المجدبة الميتة، فمثل ذلك الإخراج، يُخرج الناس- بعد موتهم وفنائهم.

٣- تقديم الأدلّة على وحدانية الله -ﷻ- وقدرته المطلقة، وتعديد نعمه -سبحانه- على الإنسان.

وجاء الجدال هنا لإثبات قضية التوحيد، وقضية البعث، وهما من أعظم مقاصد القرآن الكريم عموماً، ومن مقاصد سورة "الزخرف" بصفة خاصة.

**الموضع الثالث: جدال الآيات للمشركين في عبادتهم للملائكة وقولهم إنها بنات الله، وتفنيد تقليدهم الأعمى:**

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1].

بعد ما ذكرت الآيات السابقة اعتراف المشركين بوجود الله –تعالى– وبأنه هو خالق السماوات والأرض؛ جاءت هذه الآيات بما يدل على سفههم وجهلهم في عبادة غير الله –سبحانه–، فهم لا يرتبون على هذا الاعتراف نتائجه الطبيعية من توحيد الله –تعالى– وإخلاص العبادة له؛ بل يجعلون له شركاء يعبدونهم من دونه.

---

(١) سورة: (الزخرف)– الآيات: ( ١٥ – ٢٥).

فقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾، كما ذكر الألوسي –رحمه الله–، ويبين ذلك قائلاً: "والمراد بيان أنهم مناقضون مكابرون حيث اعترفوا بأنه –عزّ وجلّ– خالق السموات والأرض، ثم وصفوه –سبحانه– بصفات المخلوقين وما يناقض كونه تعالى خالقا لهما، فجعلوا له سبحانه جزءا: وقالوا: الملائكة بنات الله –سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا–"(١) .

وهنا تصحح الآيات هذا الانحراف العقدي الذي عليه المشركون، وتردّهم إلى طريق الحق والصواب عن طريق الحجة والمنطق، فتبين أنهم ﴿ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ، بأن أشركوا به معبودات أخرى يعبدونها معه، ونسبوا إليه الولد.

"وعبر عن الولد بالجزء لأنه بضعة ممن هو ولد له، كما قيل: أولادنا أكبادنا، وفيه دلالة على مزيد استحالته على الحق الواحد الذي لا يضاف إليه انقسام حقيقة ولا فرضا ولا خارجا ولا ذهنا –جلّ شأنه وعلا–، ولتأكيد أمر المناقضة لم يكتف بقوله تعالى: ﴿جُزْءًا ﴾ بل قال: ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ لأنه يلزمهم على موجب اعترافهم أن يكون ما في السموات والأرض مخلوقه –تعالى– وعبده –سبحانه– إذ هو حادث بعدهما محتاج إليهما ضرورة"(٢) .

---

(١ ) " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"– شهاب الدين محمود الألوسي: (١٣/ ٦٩) ط. دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢ ) "روح المعاني": (٢٥/ ٦٩).

ثم تعقب الآية على هذا المسلك العجيب الذي سلكه المشركون بأنه "كفران مبين" ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾، إذ كيف يكون المخلوق جزءًا من الخالق؟! وكيف يكون لله –تعالى– أجزاءً وأبعاضًا؟! فبدلًا من أن يخصّوه –تعالى– بالعبادة وحده ويعترفوا له بصفات الجلال والكمال بعد اعترافهم بأنه خالق السماوات والأرض؛ وبدلاً من أن يذكروا نعمه التي أنعم بها عليهم ويشكروه عليها– والتي ذكرت الآيات طرفًا منها–، ها هم يجعلون له من عباده جزءًا ! حقًّا إنّ هذا لكفران مبين وضلال عظيم .

ثم تجادلهم الآيات جدالًا منطقيًّا فيسألهم الله –تعالى– سؤالا استنكاريًّا يدل على السخرية منهم، والتعجيب من حالهم، بقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ والمعنى: "هبوا أنّ إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا، أما تستحيون من الشطط في القسمة؟ ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما؟!"(١) . والملاحظ في هذه الآية الالتفات إلى خطابهم، وذلك "لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ"(٢) .

ثمّ تذكر الآيات من حالهم ما يُزيد التعجب منهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: ومن حال هؤلاء المشركين أن أحدهم إذا بشر بالأنثى التي جعلها مثلاً لله صار وجهه مُسْوَدًّا من الكآبة والحزن، وهو ممتلىءٌ غيظاً وغماً من سوء ما بُشّر به.

---

(١ ) "**الكشاف**": (٤/ ٢٤١، ٢٤٢).

(٢ ) "**إرشاد العقل السليم**": (٨/ ٤٢).

ثمّ نبّه الله –تعالى– على خفّة عقولهم، وسخافة تفكيرهم بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

والمعنى كما يقول الرازي –رحمه الله–: "أن الذي بلغ حاله في النقص إلى هذا الحد كيف يجوز للعاقل إثباته لله تعالى"! (١)

ثمّ يجادلهم الله –تعالى– جدالاً منطقيًّا في مسألة جعلهم الملائكة إناثًا، فيوجه إليهم سؤالًا إنكاريًا بغرض التهكم بهم، فيسألهم: أكانوا حاضرين وقت خلق الله لهم حتى علموا أنهم إناث؟! وهل شاهدوا الله –تعالى– وقد خلقهم إناثا؟! ثمّ يوجه إليهم وعيدًا أكيدًا يحمل الكثير من التهديد؛ بأنه سوف تُكتب شهادتهم عن طريق الملائكة الكاتبين، وسوف يُسألون عن هذه الشهادة يوم القيامة. ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

ثم يحكي الله –عز وجلّ– عنهم ما يدلّ على جهلهم وسفههم، وهو قولهم على سبيل الجدال بالباطل: لو شاء الرحمن ما عبدنا هذه الملائكة، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾(٣). قال القرطبي –رحمه الله–: "وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل. وكل شيء بإرادة الله،

---

(١) "مفاتيح الغيب"– فخر الدين الرازي: (٢٧/ ٦٢٤) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة:(الزخرف)– الآية: ( ١٩).

(٣) سورة:(الزخرف)– الآية: ( 20).

وإرادته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بها، وخلاف المعلوم والمراد مقدور وإن لم يقع. ولو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ما حصل منهم"(١) .

ثمّ ردّ الله حجتهم بقوله سبحانه: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: ما لهم علمٌ بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يكذبون ويتقولون، وقال مجاهد أي: "ما يعلمون قدرة الله على ذلك"(٢) .

فلا يمكن لهم إذن الاحتجاج بمشيئة الله –تعالى– لأنهم لا علم لهم بها، ولا يعلمها غيره –سبحانه–، وقد اقتضت حكمته ومشيئته– تعالى– أن يجعل للإنسان القدرة على اختيار الحق أو الباطل، وهم قد اختاروا طريق الباطل، واستحبوا الضلالة على الهدى دون إكراهٍ من أحد، فأين مشيئتهم هم التي خلقها الله فيهم؟! ولم يُعَلِّقون أفعالهم الضّالة على مشيئة الله، وعندما يريدون هم أمرًا من أمور الدنيا بادروا إليه وسارعوا دون أن يقولوا مثل مقالتهم تلك؟! إن قولهم هذا ليس إلا نوعًا من السفسطة والكذب والتّقَوّل على الله –تعالى– بغير علم.

يقول ابن كثير –رحمه الله–: معقّبًا على معتقداتهم السابقة بقوله: "جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

- أحدها: جَعْلُهم لله ولدًا، –تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا–.

---

(١ ) "الجامع لأحكام القرآن"– القرطبي: (١٦/ ٧٣) ط. دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

(٢ ) "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٢٤).

- الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.
- الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.
- الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قَدَرا، والحجة إنما تكون بالشرع، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] ، وقال سبحانه: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] " [3].

ثم يردّ الله –تعالى– عليهم بسؤالٍ إنكاريّ آخر في قوله –سبحانه–: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(١ ) سورة: (النحل)– الآية: (٣٦).
(٢ ) سورة:(الزخرف)– الآية: (٤٥).
(٣ ) المرجع السابق: (٧/ ٢٢٣).

وهو إضراب انتقالي، انتقل من نفي أن يكون قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[1] مستندا إلى حجة العقل، إلى نفي أن يكون مستندا إلى حجة النقل(٢)، فليس لديهم مستندٌ لا من العقل ولا من النقل.

ثمّ تكشف الآيات عن مستندهم الوحيد في هذا الاعتقادات الخاطئة، فتُبين أن حجتهم في ذلك ما هي إلا مجرد المحاكاة والتقليد الأعمى للآباء، هذا التقليد الذي يدل على إلغاء عقولهم، وأنهم منساقون وراء جهل آبائهم دون أدنى تفكيرٍ أو تدبرٍ لما يؤول إليه أمرهم. قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، وفي هذه الآية إبطال القول بالتقليد(٣) .

ثمّ يبيّن الله تعالى أن هذا هو نفس فعل المكذبين من قبلهم، وأن هذه الحجة الواهية هي حجة متكررة عبر الأزمنة على ألسنة المشركين من الأمم السابقة، ومن ثَمّ فإنّ عاقبتهم واحدة هي الدمار والخسران. قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ويعقّب –سبحانه– بقوله: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قرأ ابن عامر وحفص ﴿ قَٰلَ ﴾ على الخبر، وقرأ الباقون: ﴿ قُلْ ﴾ على الأمر(٤)، فعلى قراءة الجمهور فيكون أمرًا للنبي –ﷺ– أن يقوله جوابا عن قولهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، وعلى قراءة ابن عامر

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– من الآية: ( ٢٠).

(٢ ) يراجع: "التحرير والتنوير": (٢٥/ ١٨٦).

(٣ ) "مفاتيح الغيب": (٢٧ /٦٢٧).

(٤ ) "النشر في القراءات العشر"– شمس الدين ابن الجزري: (٢/ ٣٦٩) ت: علي محمد الضباع– ط. دار الكتاب العلمية.

وحفص يكون المعنى: قال الرسول محمد -ﷺ- وكذلك قال كل رسول من قبله من الرسل السابقين لمن عارضوهم بهذه الشبهة الباطلة: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ أي: لو جئتكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدلَّ على سبيل الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم فهل تتبعوني لأجل الهدى ؟ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾، فعلم بذلك أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدوا اتباع الباطل والهوى.

ثمّ بيّن الله –عز وجلّ– عاقبة المكذبين من الأمم السابقة بقوله سبحانه: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ، لعلّ هؤلاء المشركين يتبيّنون عاقبة الطريق الذي يسلكونه والذي سلكه مَن قبلهم من المكذبين. وفي هذا رادع و إنذار لهم لعلهم يعتبرون ويرجعون إلى طريق الحق والهدى.

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

تعددت طرق جدال الله –تعالى– للمشركين في الآيات الكريمة، فقد ذكر الله –تعالى– شبهاتهم وأباطيلهم، وفنّدها شبهة شبهة، وردّ عليها بما يبطلها ويدحضها، وأغلق دونهم كلّ منفذٍ للباطل، وأقام لهم الحجج والبراهين التي توصلهم إلى الحقّ، وتأخذ بأيديهم إلى سواء السبيل لو أنهم يعقلون. فنلاحظ من أساليب الجدل:

١- إثبات عدم ترتيبهم النتائج المنطقية على معتقداتهم التي يعتقدون بها، مما يدلّ على تناقضهم ومكابرتهم؛ حيث يعترفون بوجود الله -ﷻ- وبخلقه للسموات والأرض، ومع ذلك يجعلون له ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ بقولهم إن الملائكة

بنات الله –تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا–، ووصفهم بالكفران المبين لمقابلتهم نعم الله –تعالى– بالجحود والإنكار.

٢- الجدال عن طريق الاستفهام الإنكاري الذي غرضه السخرية منهم، والتعجيب من حالهم، في قوله تعالى:﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ ﴾.

٣- كما أنه في هذه الآية الكريمة أسلوب آخر من أساليب الجدل التي استعملها القرآن الكريم، وهو ما يسمى بـ "مجاراة الخصم ليعثر"، "بأن يسلم ببعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه"(١)، فيفترض جدلًا الموافقة الظاهرية على كلامه ويسير معه، ليثبت لاحقًا التناقض والخطأ في حجته، وهو أسلوب شائع في علم الجدل والمناظرة؛ فكأنه قال لهم: على فرض التسليم جدلًا بأنّ إضافة الولد إليه جائزة، فهّلا كان عندكم شيء من العدل في هذا الادّعاء؟ وهل آثركم على نفسه فاتخذ من خلقه البنات واصطفاكم أنتم بالبنين؟! في حين أن أحدكم إذا بشر بالأنثى ظلّ وجهه مُسْوَدًّا من الكآبة والحزن، وأصبح ممتلئًا غيظاً وغماً من سوء ما بُشّر به. وبهذا يتجلّى تناقضهم وخطأهم في هذا الادّعاء الذي يدّعونه.

٤- الجدال المنطقي عن طريق الاستفهام الإنكاري الذي غرضه التهكم، في قوله تعالى: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ ﴾؟ وإذا لم يشهدوا خلقهم فكيف يدّعون أنهم بنات الله؟!

---

(١ ) "الإتقان في علوم القرآن"- جلال الدين السيوطي: (٤/ ٦٦).

٥- توجيه التهديد لهم بأنه سوف تُكتب شهادتهم تلك، وسوف يُسألون عنها يوم القيامة ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾.

٦- إنكار حجتهم لكونها غير صادرة عن علم، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٧- بيان أنه ليس لديهم مستندٌ من عقل ولا نقل، وأنّ حجتهم الوحيدة هي التقليد الأعمى للآباء، وهي حجة واهية متكررة عبر الأزمنة على ألسنة المكذبين قبلهم تدلّ على جهلهم وضعف عقولهم.

٨- من أساليب الجدل التي جاءت بها الآيات بيان أن هؤلاء المشركين لا يتركون مجالًا للمناقشة، ويغلقون كل باب للحوار، مما يمنع من وصولهم إلى الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٩- أسلوب التهديد بسوء العاقبة التي آلَ إليها جدال المكذّبين السابقين، في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾، لعلّهم يرتدعون ويرجعون عن غيّهم وضلالهم.

هذه الأساليب المتنوعة للجدل تأتي في سياق إثبات وحدانية الله -تعالى- وتنزيهه عن الشريك والولد، ودعوة المشركين إلى ترك التقليد الأعمى للآباء، والنظر في عاقبة من قبلهم من المكذبين، وهذا من مقاصد السورة الكريمة.

**الموضع الرابع: جدال الآيات للمشركين في اعتراضاتهم على الرسول -ﷺ- وعلى دعوته، وبيان حكمة الله -تعالى- في اختيار رسله، وتقسيم رزقه:**

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1].

لمّا ذكر الله -تعالى- في الآيات السابقة عاقبة المكذبين لرسلهم، ساق بعد ذلك مواقف بعض الرسل مع أقوامهم، وابتدأ بموقف إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه، إبطالاً لاحتجاج المشركين في قولهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] [3]، فها هو ذا أبوهم إبراهيم -عليه السلام- الذي يفتخرون

---

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ٢٦ – ٣٥

(٢ ) سورة: "الزخرف"- من الآية: ( ٢٢).

(٣ ) يراجع: "التحرير والتنوير": (٢٥/ ١٩١).

بنسبتهم إليه؛ قد نبذَ ما يعبده أبوه وقومه من أصنام، ولاذ بالله –تعالى– وحده ، فإذا كانوا يريدون تقليد الآباء فليكن لهم في أبيهم إبراهيم –عليه السلام– المثل والقدوة.

ففي هذه الآيات تعقيب آخر على أقوال المشركين في صورة تذكير هم بأبيهم إبراهيم –عليه السلام– ، وفيها صورة أخرى من صور الجدل واللجاج بين النبي –ﷺ– وزعماء الكفار، فكأنه –تعالى– يقول لهم: "هذا هو حال جدكم إبراهيم الذي تفتخرون به وتعتزّون بنسبتكم إليه، فلماذا لم تقلدوه في إنكاره لعبادة الأصنام، وفي هجره لما كان عليه أبوه وقومه، وإخلاصه العبادة لله– تعالى– وحده؟!"(١) .

لا سيما وأن إبراهيم –عليه السلام– جعل هذه الكلمة –وهي كلمة التوحيد وعبادة الله –تعالى– وحده لا شريك له– كلمة دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذريته –عليه السلام– لعلهم يرجعون إليها، فيؤمنون بها، فلا يزالُ فيهم مَن يوحدُ الله تعالى ويدعُو إلى توحيدِه(٢)، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣] ، وقد بيّن الله تعالى ذلك في آية أخرى في قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٤].

---

(١ ) يراجع: "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"– أ. د/ محمد سيد طنطاوي: (١٣/ ٧٣ ).

(٢ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٢٥)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"– أبو السعود: (٨/ ٤٥).

(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٢٨).

(٤ ) سورة: "البقرة– الآيتان: ١٣١ – ١٣٢ .

إذن فمن أين لهؤلاء المشركين بعقيدة الشرك التي يزعمون أنها العقيدة التي وجدوا عليها آباءهم وأجدادهم؟!

ثمّ تُعقّب الآيات مبيّنة أن ما رجاه إبراهيم -عليه السلام- لم يحصل، "فإن أقدم أمة من عقبه لم يرجعوا إلى كلمته، وهؤلاء هم العرب الذين أشركوا وعبدوا الأصنام"(١)، قال تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، فلم يرجع هؤلاء وآباؤهم الأولون إلى التوحيد ولم يتبرأوا من عبادة الأصنام ولا أخذوا بوصاية إبراهيم -عليه السلام- بل متّعهم الله -تعالى- بأن أجزل لهم العطاء ولم يعاجلهم بالعقوبة، فاغتروا بطول العمر وتوافر النعمة، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ وهو النبي محمد -ﷺ- الذي أبان لهم الحقّ وجاءهم بالأدلة الواضحة والحجة الساطعة على مبدأ التوحيد، ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ قالوا ذلك جحودًا منهم وعنادًا وكبرًا، "وفي قولهم هذا اعتراف من حيث لا يشعرون بأن ما عاينوه من الوحي خارج عن طوق البشر، ولكنهم سموه بما قالوا تماديا منهم في العناد، كما هو دأب المكابرين في كل وقت"(٢)، ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ معترضين على اختيار الله -تعالى- لرسله: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: "هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف"(٣)،

---

(١ ) "التحرير والتنوير": (٢٥/ ١٩٦).

(٢ ) "إرشاد العقل السليم": (٤/ ١١٨) بتصرّف.

(٣ ) "تفسير القرآن العظيم"- ابن كثير: (٧/ ٢٢٥).

أرادوا بذلك أصحاب المال والمكانة في بيئتهم كالوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي.

قال البيضاوي –رحمه الله–: "قيل: كانوا يقولون العجب أن الله –تعالى– لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة. هذا، وإنه –عليه الصلاة والسلام– لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال، وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب، ولذلك كان أكثر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– قبله كذلك"(١) .

لم يكن جحود المشركين للحق الذي أُنزل محمد –صلى الله عليه وسلم– مبنيّ على دليل أو قائم على حجة يمكن مناقشتها، ولكنها طبائع الحقد والحسد تكمن وراء هذا التكذيب، وهذا شأن المشركين في كل وقت، فقد قال المستكبرين من قوم صالحٍ –عليه السلام– : ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ (٢) ، وكذلك قال بنو إسرائيل معترضين على تنصيب "طالوت" عليهم ملكًا: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ ﴾ (٣) ، وهو نفس حال مشركي مكة كما حكى القرآن عنهم في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ

---

(١ ) "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"– ناصر الدين البيضاوي: (٣/ ١٠٤) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢ ) سورة: "القمر"– الآية: (٢٥).

(٣ ) سورة: "البقرة"– من الآية:( ٢٤٧).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾ [1]، وكما في قوله –سبحانه– حكاية عنهم في سورة (ص): ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ ﴾ [2]

ثمّ ردّ الله –تعالى– عليهم في هذه السورة ردًّا فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم بقوله –سبحانه–: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾.

أي: هل هم مَن يقسمون أمر النُّبوَّة، فيضعونها حيث شاءوا؟ إذا كان الله –عز وجل– هو الذي يقسّم بينهم أمور معيشتهم وأرزاقهم الدنيوية –وهي دون النبوّة– فكيف تكون النبوّة؟ ومن أين لهم أن يدبروا أمرها وهي أعلى المراتب الإنسانية؟! (٣)

"إنّ تنوير الأقطار وتحرير العبيد ونقل الأجيال من القاع إلى القمّة يتطلّب معادن خاصة ورجالًا من طرازٍ نفسيّ رفيع، ولا يرشّح لذلك شخص لديه مال كثير ينفقه في مآربه وملذّاته. والبشر من الناحية الماديّة يرأس بعضهم بعضًا،

---

(١ ) سورة: "يونس"– الآية: (٢).
(٢ ) سورة: " ص"– الآيتان: ٨ – ٩ .
(٣ ) يراجع: "أنوار التنزيل"– البيضاوي: (٥/ ٩٠).

ولكن ما علاقة ذلك بزكاة الروح وسناء الضمير وزراعة الخير في أنحاء الحياة؟!"(١) .

وهل في الكون قلب ضمّ من الطهر والنقاء والضياء مثل ما ضمّه قلب النبي محمد –ﷺ–؟ أم كان هناك مَن هو أقوى على حمل رسالة السماء من هذا الرسول الكريم؟ أم أنّ هنالك مَن وُهِب رحمةً تتسع الخلق منه –صلى الله عليه وسلم–؟!

كلا والله، فعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–قال: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ"(٢). وصدق الله العظيم: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٣) .

وبعد هذا التعجب من جهلهم وغبائهم بيّن الله –تعالى– بعض مظاهر قدرته على خلقه، وأنه –سبحانه– هو وحده الذي قسّم بينهم أرزاقهم، ورفع بعضهم فوق بعضٍ درجات في الدنيا ليستخدم بعضهم بعضا في حوائجهم، ويعاون بعضهم بعضا في مصالحهم، ويكون بعضهم سببا لمعاش بعض، وبذلك تنتظم أمور الحياة ويعمّ الخير على الناس جميعًا، ثمّ ذكر الله –تعالى– أنّ رحمته

---

(١ ) "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"– الشيخ: محمد الغزالي: (ص: ٣٨١) ط. دار الشروق– القاهرة– الطبعة التاسعة– ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢ ) "مسند الإمام أحمد بن حنبل": (٦/ ٨٤) برقم (٣٦٠٠) – ت: شعيب الأرنؤوط– ط. مؤسسة الرسالة– الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

(٣ ) سورة: (الأنعام)– من الآية: (١٢٤).

بخلقه خيرٌ لهم مما يجمعون متاع الحياة الدنيا الزائل، وأنه يختصّ بها من يشاء من عباده: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

وتوالي الآيات الردّ على معتقدات زعماء المشركين القائمة على النظرة الماديّة البحتة ببيان حقارة الدنيا عند الله –تعالى–، وأنه لولا كراهة أن يرغب الناسُ جميعاً في الكفر إذا رأوا الكافرين في سعة من الرزق ورغدٍ من العيش؛ لجعل الله –تعالى– لمن يكفر بالرحمن الشيء الكثير من متاع الدنيا الزائل، بأن يجعل لبيوتهم سقفاً من فضّة ومصاعد يرتقون عليها إلى أعالي مساكنهم، ولجعل لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضة ينعمون بها، ويتكئون عليها، ولجعل لهم زخرفا يتزينون به من الذهب والفضة وغيرهما ويستعملونه في تزيين بيوتهم وأغراضهم، وذلك لهوان الدنيا عليه –ﷻ–، فما يظفر به بعض الناس من متاع الدنيا ليس فيه دلالة على الخير لهم، فقد يُنعّم الكافر ويُبتلى المؤمن، وليس كل ما ذكر من الزينة والزخارف إلا متاع الحياة الدنيا الفانية، أما الآخرة فهي الباقية عند الله –ﷻ–، وهي خاصة بالمؤمنين المتّقين الصادقين في إيمانهم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (١).

(١) سورة: "الزخرف"– الآيات: ( ٣٣ – ٣٥).

* أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:

يُلاحظ في الآيات الكريمة من أساليب الجدل ما يلي:

١- القول بالموجِب: وهو "ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه"(١)، حيث ردّ الله -ﷻ- إصرارهم على الشرك ورفضهم التوحيد بحجة اقتدائهم بآبائهم، من فحوى كلامهم عن طريق ذكر نموذج من آبائهم، وهو أبوهم إبراهيم- عليه السلام- الذي يفتخرون به ويعتزّون بنسبتهم إليه، فماذا كان من شأنه؟ لقد أنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام، وهجر ما كانوا عليه من الشرك، ودعا إلى إخلاص العبادة لله- تعالى- وحده. وكأن المعنى: إذا كنتم تريدون - تقليد الآباء، فلم لم تقلدوا أباكم إبراهيم -عليه السلام- في نبذه للشرك، وإنكاره لعبادة الأصنام، ودعوته إلى التوحيد؟! ومن أين لكم بعقيدة الشرك هذه التي تزعمون بأنها عقيدة آبائكم وأجدادكم؟! وبذلك سقطت حجتهم بتقليد الآباء، وأصبحوا بحاجة إلى تبريرات جديدة تبرر إصرارهم على الكفر وإنكار التوحيد.

٢- الاستفهام الإنكاري: الذي غرضه التوبيخ والتعجيب من اعتراضهم على نبوّة النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ** ﴾؟! أي: هل هم من يمنحون النبوّة لمن شاءوا من عباد الله؟ وهل هذا الأمر من اختصاصاتهم؟! إنها رحمة الله -تعالى-يختصّ بها من يشاء من عباده.

---

(١ ) **الإتقان**": (٤/ ٦٤).

٣- القول بالأوْلى أو ما يُعرف بـ "قياس الأولى "وهو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل"(١)؛ لأن العلة فيه أقوى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾(٢)، أي: إذا كان الله -تعالى- هو الذي يتولى تقسيم أمور المعيشة والأرزاق الدنيوية، وهي أمورٌ فانية حقيرة، فكيف يكون أمر النبوّة، وهو أمرٌ عظيم الشأن، جليل القدر، خطير الأثر ؟ فالأولى والأحرى أن يكون اختيار من يصلح للنبوة أمرًا راجعًا إلى تقديره -سبحانه- ومشيئته -ﷻ-.

يقول ابن جزي -رحمه الله- في هذا المعنى: "أي: كما قسمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية"(٣).

٤- تصحيح المفاهيم المغلوطة: حيث كان من المفاهيم التي عليها المشركون أنّ النبوّة لا تليق إلا بزعيم من زعمائهم الذين أوتوا العظمة الدنيوية من المال والجاه والسلطان، فصحح الله -تعالى- لهم هذا المفهوم الخاطئ

---

(١ ) "الإبهاج في شرح المنهاج"- (شرح منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)- تقي الدين السبكي: (٣/ ٨) ط. دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٣٢ ).

(٣ ) " التسهيل لعلوم التنزيل": (٢/ ٢٥٨).

ببيان أن إنعام الله على نبيه -ﷺ- بالرسالة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني ومتاعها الزائل. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

**٥- كشف حقائق الأمور: وذلك ببيان حقيقة الدنيا وزخرفها، وأنها لا تزن عند الله شيئًا.**

٦- أسلوب المقارنة: وذلك في المقارنة بين الدنيا وفنائها، وبين الآخرة وبقائها، وبأن الدنيا تكون لكل أحد، أمّا الآخرة فلا تكون إلا للمتقين.

هذه الأساليب المتعددة للجدل تسير مجتمعة في اتجاه تحقيق مقاصد السورة الكريمة، حيث جاءت لإثبات عقيدة التوحيد وبيان أنه ملّة أبينا إبراهيم -عليه السلام-، كما أنها جاءت لإثبات رسالة النبي -ﷺ- وبيان حكمة الله -تعالى- في اختيار رسله وتوزيع رزقه، كما بيّنت حقيقة الدنيا الفانية وزخرفها وأنها لا تساوي شيئًا عند الله -تعالى-، على خلاف الآخرة الباقية التي أعدها الله للمتقين. وذلك من المقاصد الرئيسية لسورة "الزخرف".

**الموضع الخامس: جدال الآيات للمشركين عن طريق التهديد لهم والتنديد بهم، وبيان سوء عاقبة الكفر والإعراض عن ذكر الله -ﷻ-، وأن التوحيد هو دعوة جميع الرسل -عليهم السلام-:**

قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١) .

تبيّن الآيات هنا عاقبة من يغترّ بمتاع الدنيا الزائل ويعرض عن الآخرة التي أعدها الله للمتقين، ويتعامى ويغفل عن القرآن وعن ذكر الله -ﷻ- بأن يكون عقابه أن يقيَّض الله له شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويضله ويغويه، فقد جرت حكمة الله تعالى أن يجازي المتمادي في المعصية والضلال بالخذلان جزاءً على إعراضه، يبين هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

(١ ) سورة: " الزخرف"- الآيات: (٣٦ – ٤٥).

(٢ ) سورة: " الصف"- من الآية: (٥).

خَسِرِينَ ﴾[1]، كما أنه –سبحانه– يجازي من سلك طريق الطاعة والهداية بأن يزيده هدىً وتوفيقًا، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

ثمّ تواصل الآيات بيان أن شياطين هؤلاء المتعامين عن ذكر الله –ﷻ– يصدّونهم عن السبيل القويم، ويظنون أنهم مهتدون، ولا يزال هذا الصدّ منهم مستمرًّا حتى تكون المفاجأة في النهاية كما تصورها الآيات بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[4]؛ أي: حتى اذا جاء هذا المعرض عن ذكر الله يومَ القيامة الى الله –ﷻ– ورأى عاقبة إعراضه وكفرِه؛ قال لقرينه نادماً: ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ أي بُعد ما بين المشرق والمغرب ، ﴿ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ أي: فبئس الصاحبُ كنتَ لي في الدنيا، حتى أوردتني المهالك.

ثمّ يُقال لهم جميعًا: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾(٥)، أي: ولن ينفعكم –أيها الكافرون– اشتراككم في العذاب، ولا تخفف عنكم الشِّركة فيه شيئًا، فلكلٍّ منكم عذابٌ مستقل خاصٌّ به، "فلا يجدون راحة

(١ ) سورة: "فصلت"– الآية :(٢٥ ).
(٢ ) سورة: "مريم"– من الآية: ( ٧٦).
(٣ ) سورة: "محمد"– من الآية: ( ١٧).
(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٣٨)
(٥ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٣٩).

التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا، إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه"(١)، وعموم المصيبة لا تهوّن عليهم عِظَم العذاب، ولا تخفف عنهم شدّة البلاء.

ثمّ ينتقل الخطاب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– مسلّيًا له عن إعراضهم وعن سوء المصير الذي صاروا إليه، ومثبّتًا له على الحقّ الذي أوحي إليه، فيقول تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢).

فما عليك –أيّها الرسول الكريم– هدايتهم، فلست مكلّفًا بأن تُسمع الصمّ أو تهدي العمي، وظيفتك فقط البلاغ، أمّا هدايتهم فليست بمقدورك، وهؤلاء ليسوا صمًّا أو بكمًا على الحقيقية لكنهم عطلوا جوارحهم، وصمّوا آذانهم، وطمسوا على قلوبهم، فصاروا لا يعقلون براهين الإسلام الواضحة، ولا يرون النور المبين الذي جاءهم به رسولهم –ﷺ–.

فليس لك من الأمر شيء بعد القيام بواجبك نحوهم: ﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بأنا منهم منتقمون، وإن أريناك الذي

(١ ) "التسهيل لعلوم التنزيل"– ابن جزي: (٢/ ٢٥٩).
(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآيات: ( ٤٠ – ٤٣).

وعدناهم من العذاب قبل موتك، فإنا قادرون على ذلك أيضًا، والأمر راجعٌ إلى مشيئتنا وقدرتنا في الحالتين.

ففي الآيات تهديد ووعيد صريح لهؤلاء المشركين بالانتقام منهم إذا استمروا على ما هم عليه من التكذيب والإعراض، لعلّهم يرجعون عن غيّهم وضلالهم.

ثمّ تواصل الآيات خطاب النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

أي: فلا تعبأ –أيها الرسول الكريم– بأمر المشركين ولا يشغلك شأنهم، ولكن تمسّك بما أوحي إليك، واثبت على ما أنت عليه من الحق، فأنت على الطريق المستقيم الموصّل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وإنّ هذا القرآن لشرفٌ لك ولقوْمك ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ "عَنْهُ يوم القيامة وعن قيامكم بحقه"(٢)، فقد نزل بلغتكم أيها العرب، وأنتم أفهم الناس له، فينبغي أن تكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه(٣) .

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٤)

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآيتان: ( ٤٣ – ٤٤).

(٢ ) "أنوار التنزيل": (٥/ ٩٢).

(٣ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٢٩).

(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٤٥).

والمعنى كما يقول الزجاج –رحمه الله–: " سل أمَمَ ﴿ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ؟ ويكون معنى السؤال ههنا على جهة التقرير كما قال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (١)، فليس يَسْأَلُهمْ ههنا عَمنْ خَلَقَهُم إلا على جهةِ التقرير، وكذلك إذا سأل جميع أمم الأنبياء وعلماء دينهم لم يأتوا بأن في كتبهِمْ: أن اعبدوا غيري"(٢) . فالمراد به "الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، والدلالة على أنه لم يأتِ بشيءٍ ابتدعه فيكذب ويعادى له"(٣).

وهناك وجهٌ آخر في معنى الآية، وهو أن يكون خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – معناه: "مخاطبة الأمَّة، كأنَّه قال: واسألوا من أرسلنا من الرسل، والدليل على أن مخاطبة النبي – ﷺ– قد يدخل فيها خطاب الأمة؛ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ﴾"(٤)(٥) .

فرسول الله– ﷺ– ليس في حاجة إلى أن يسأل عن أمرٍ هو على كمال العلم به، ولكن المعنيّ بالسؤال هنا هم هؤلاء المشركون، فالغرض هو دعوتهم إلى أن يشاركوا في هذا السؤال، وأن ينتظروا الجواب عنه، حتى يحصل لهم العلم الذي يصححون به معتقداتهم الخاطئة.

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٧ ).

(٢ ) "معاني القرآن وإعرابه"– أبو إسحاق الزجاج: (٤/ ٤١٤).

(٣ ) يراجع: "أنوار التنزيل"– البيضاوي: (٥/ ٩٢).

(٤ ) سورة: (الطلاق)– من الآية: (١).

(٥ ) يراجع: "معاني القرآن وإعرابه": (٤/ ٤١٤).

ففي الآية تعريضٌ بهؤلاء المشركين الذين يعبدون ما يعبدون من دون الله عن غير علم، وفيها دلالةٌ بأن معتقداتهم تلك ليست من دين الله في شيء، وليست مبنيةٌ على أصلٍ يمكن الرجوع إليه، إذ مَا مِن رسولٍ من رسل الله – عليهم السلام– دعا إلى عقيدة الشرك، فمن أيّ رسولٍ إذن أخذوا هذه المعتقدات الفاسدة؟!

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

تضمّنت الآيات الكريمة عدّة أساليب من أساليب الجدل، منها:

١– أسلوب التهديد والوعيد –في أكثر من موضع من الآيات–، وبيان سوء عاقبة التمادي في الكفر والضلال.

٢– الإنكار على الخصم بأنه لا يسمع ولا يُبصر، ولذلك لا تُجدي معه حجة ولا ينفع معه برهان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾** ﴾(١)، وفيه دعوةٌ لهؤلاء إلى تفعيل ما وهبهم الله –تعالى– من عقول وجوارح حتى يعقلوا الأدلة التي تُعرض عليهم.

٣– الاستشهاد بالغير في تأييد الموقف الصحيح، وذلك في دعوة النبي –ﷺ– إلى الاستشهاد بغيره من الرسل، حتى يظهر إجماعهم على ما جاء به من التوحيد، وأنه لم يأتِ بشيءٍ ابتدعه، حتى يكذبه قومه ويعادوه. ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾** ﴾(٢).

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( 40).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٤٥).

٤- دعوة الخصم إلى سؤال الغير وانتظار الجواب منه، حتى يحصل له العلم بأن ما هو عليه ليس من الحقّ في شيء، وذلك على الوجه الآخر من تفسير الآية السابقة، وهو أن المراد بخطاب النبي -ﷺ- خطاب أمته، ودعوتهم إلى أن يشاركوا في هذا السؤال، وأن ينتظروا الجواب عنه، حتى يحصل لهم العلم بأن ما هم عليه من الشرك ليس من دين الله في شيء، وليست مبنيًّا على أصلٍ يمكن الرجوع إليه، وبذلك يمكنهم تصحيح معتقداتهم الخاطئة.

هذه الأساليب المتنوعة للجدل تُسهم بقوة في إبراز مقاصد سورة "الزخرف" بصورة واضحة، حيث بيّنت سوء عاقبة الكفر والإعراض عن ذكر الله -ﷻ-، كما أكّدت على صدق وعد الله -تعالى- لنبيه -ﷺ-، وعلى شرف القرآن ووجوب التمسك به وأنه وحي الله -تعالى- لرسوله -ﷺ-، كما بيّنت أن التوحيد هو دعوة جميع الأنبياء والرسل، وهذه المقاصد من المقاصد الرئيسة للسورة الكريمة.

**الموضع السادس: جدال الآيات للمشركين عن طريق ضرب المثل بقصة موسى -عليه السلام- مع فرعون وقومه:**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

تشير الآيات الكريمة إلى أن منطق الطغيان والعناد واحد، فقد تمسك صناديد قريش بالأمور المادية البحتة في رد رسالة النبي -ﷺ- بحجة أنه فقير عديم الجاه والسلطان، وقد تمسّك أمثالهم من قبل بمثل تلك الحجة الواهية، فها هو فرعون -صاحب الغنى والملك والجبروت- يردّ رسالة موسى -عليه السلام- بعدما أظهره الله على يديه من المعجزات الواحدة تلو الأخرى، لنفس ذات

(١) سورة: "الزخرف"- الآيات: (٤٦ – ٥٦).

الاعتراضات التي اعترض بها مشركو العرب على النبي -ﷺ-، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (١).

لمّا خاف فرعون على ملكه وخشي على قومه أن يؤمنوا بموسى -عليه السلام-، نادى فيهم مفتخرًا بملكه لمصر ، وما قد مُكّن له من الدنيا قائلًا: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أليست بلاد مصر على اتساعها وعِظَمِها ملكًا لي؟ وهذه الأنهار المتفرّعة من نهر النيل تجري من تحت قصوري؟(٢) أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، بعكس ما عليه موسى وأتباعه من الفقر والضعف؟(٣) ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا الذي قاله فرعون -لعنه الله-كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى-عليه السلام-، بعين كافرة شقية، وقد كان موسى-عليه السلام- من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الأبصار والألباب. وقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كذب، بل هو المهين

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ( ٥١ – ٥٣).
(٢ ) "أنوار التنزيل"- البيضاوي: (٥/ ٩٣).
(٣ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"- ابن كثير: (٧/ ٢٣١).

الحقير خِلْقةً وخُلُقًا وديناً. وموسى -عليه السلام- هو الشريف الرئيس الصادق البار"(١) .

ويواصل فرعون خطابه لقومه قائلًا: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(٢)، إذا كان موسى رسولًا حقًّا من عند الله فلماذا ضنّ عليه ربه بأن يلقي عليه أسورة من ذهب، كدليلٍ على عظمته ونبوته؟ أو أن يبتعث معه ملَكًا من الملائكة يرافقونه ويشهدون بصدق رسالته؟!

ومقولة فرعون تلك تشبه إلى حدٍّ كبير مقولة كفار قريش للنبي -ﷺ- كما حكى القرآن الكريم عنهم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾(٣) .

استغل فرعون جهل قومه، وضعف تفكيرهم، "وظنّ أن ما هو فيه من الملك قد ناله بحوله وقوّته، وأن موسى -عليه السلام- لو كان محقًا فيما يدّعيه من النبوة لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك، جهلا بالله واغترارًا

(١ ) المصدر السابق- نفس الجزء والصفحة.
(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٥٣ ).
(٣ ) سورة: (الفرقان)- الآيات: ٧ – ١٠ .

منه بإملائه إياه"(١)، ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ استخف عقولهم، واستمال عاطفتهم بهذا الكلام الذي لا يقبله عقل، ولا يقرّه منطق، فما كان منهم إلا أن أطاعوه! ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ خارجين عن طاعة الله –تعالى–.

فماذا كانت عاقبة فرعون –صاحب ملك مصر أرض الكنانة ومهد الحضارات ومجرى نهر النيل العظيم– ؟ وماذا كان من أمر هذا الطاغية الذي أوتي الجاه والسلطان والعظمة الدنيوية البحتة التي يبحث عنها مشركو قريش لتكون محلّ النبوة ومهبط وحي السماء؟

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢).

هكذا أغرق الله فرعون وقومه في البحر، فلم يبقَ منهم أحدًا، أغرقوا بما أوتوا من مُلك وسلطان وأموال، اغتر فرعون بجاهه وعظمة مُلكه والأنهار التي تجري من تحته، فجعلها الله سببًا في زوال مُلكه. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ بل جعله الله –تعالى–آية وعبرةً لمن بعده، ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ لقد آتاهم الله من البيّنات، وجاءهم بالنذر، وأمهلهم الوقت الذي يُمكنهم فيه التفكر والرجوع إلى الحق، ولكنهم أصروا على الكفر والعناد، فكانت تلك عاقبتهم، وصاروا مثلًا لمن بعدهم.

---

(١ ) "جامع البيان": (٢١/ ٦١٧) بتصرف.

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآيتان: ٥٥ – ٥٦.

فهلّا كان لكفار قريش فيهم العبرة والعظة؟ وهلّا أفاق المكذّبون لرسول الله-ﷺ- من غفلتهم، ورجعوا عن غيّهم ضلالهم؟

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

تأتي أساليب الجدل في هذا الموضع من السورة في عدة صور، منها:

١- أسلوب ضرب المثل: حيث بيّن الله -تعالى- أن موقف المشركين مع رسول الله -ﷺ- هو نفس موقف فرعون وقومه مع موسى -عليه السلام-، والتأكيد على أن النظرة الماديّة البحتة والعظمة الدنيوية التي يبحث عنها صناديد قريش هي نفس نظرة فرعون، والتي تُعدّ في نظرهم جميعًا المعيار الوحيد لاختيار الرسول.

٢- بيان أن حجة الخصم حجة واهية متكررة وأنه لم يأت بجديد، وأنها ليست مبنية على دليل أو برهان ولكنها صادرة عن الكذب والافتراء، نابعة عن الكفر والعناد، وذلك في قوله تعالى حكاية عن فرعون وملائه حينما رموا موسى -عليه السلام- بالسحر: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ (١)، وهي نفس حجة مشركي مكة كما ذكرت السورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)، مما يبين أن منطق الباطل واحد، أساسه المكابرة

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٤٩)

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٣٠).

والطغيان، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ (١).

٣- من الأساليب المتكررة في السورة أسلوب: التحذير من سوء العاقبة التي حلّت بالسابقين الذين ساروا على نفس النهج والطريق، هذا الأسلوب الذي يدعو إلى الاعتبار لمن كان لديه شيء من العقل والحكمة.

جاءت تلك الأساليب مجتمعةً لتؤكد على المقصد الرئيسي لسورة "الزخرف" ألا وهو دعوة المشركين إلى الإيمان بالله ﷻ- وتصديق النبي -ﷺ- والرجوع عن الكفر والعناد، وبيان العاقبة الوخيمة التي حلّت بمن قبلهم ممن الأمم السابقة الذين سلكوا طريق الكفر والطغيان، مع كونهم أكثر منهم عددًا وأشدّ قوّة وأعظم مُلكًا وأوسع سلطانًا ونفوذًا، حتى يكون لهم فيهم العبرة والعظة.

***

□

(١) سورة: "الذاريات"- الآيتان: ٥٢ – ٥٣.

**الموضع السابع: الردّ على جدال المشركين بالباطل في عيسى -عليه السلام-، ودحض شبهتهم:**

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦ ﴾ (١).

أخرج ابن أبي حاتم -رحمه الله- بسنده عن ابن عباس-رضي الله عنهما- في سبب نزول هذه الآيات: قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبَد من دون الله فيه خير". فقالوا له: ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحًا، فقد كان يُعبد من دون الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٢).

---

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ٥٧ – ٦٦.

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: (٥٧).

كما ذكر المفسرون -رحمهم الله- أن رسول الله -ﷺ- لما تلا على المشركين قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾(١)، قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى (٢): أما والله لو وجدته لَخَصَمْتُه، سلوا محمدا: أَكُلّ ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذُكِر ذلك لرسول الله -ﷺ- فقال: "كل مَن أحب أن يُعبد من دون الله، فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته" فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٣)،,(٤).

فهذه الآيات تحكي صورة من صور الجدال الذي كان بين مشركي مكة وبين النبي -ﷺ-، وتبيّن الفرق الواضح والبون الواسع بين جدال المشركين

---

(١ ) سورة: "الأنبياء"- الآية: ( ٩٨).

(٢ ) هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عدي بن سهم القرشي، كان شاعرا جَدِلًا، يناضل عن قريش ويُهَاجِي المسلمين وهو مشرك، ثم أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، واعْتذر للنَّبِي-ﷺ- فَقبل عذره. يراجع: "معرفة الصحابة"- أبو نعيم الأصبهاني: (٣/ ١٦٦٠) ط. دار الوطن- الرياض- الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، "أسد الغابة في معرفة الصحابة"- ابن الأثير: (٣/ ٢٣٩) ط. دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

(٣ ) سورة: "الأنبياء"- الآية: (١٠١).

(٤ ) "جامع البيان": (٢١/ ٦٢٥).ابن كثير: (٧/ ٢٣٣)

بالباطل، وبين جدال الله –تعالى– لهم، فالله –عز وجل– حينما يجادلهم إنما يجادلهم بالحجج العقلية والبراهين المنطقية الواضحة، بهدف بيان الحق، وإقناع المخاطبين به وهدايتهم إلى طريق الرشد والصواب، عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، بخلاف جدال المشركين الذي لا غرض له إلا الصدّ عن الحق ودفعه بكل وسيلة ممكنة، والسخرية والاستهزاء من أصحابه، عن طريق الجدال بالباطل، والمغالطة في القول، واللدد في الخصومة، وإثارة الشبهات الباطلة دون أي دليل صحيح أو حجة منطقية.

وهذا نموذج من المغالطات الجدلية التي استعملها المشركون في الصدّ عن الحق، فلا يخفى على من عنده أدنى علمٍ باللغة أن (ما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[1] إنما هي لغير العاقل، وأنه –سبحانه– "أتى هنا بـ « ما » وهي لغيرِ العقلاءِ، لأنه متى اختلطَ العاقلُ بغيرِه تَخَيَّر الناطقُ بين «ما» و«مَنْ»"(٢) .

وهؤلاء العرب لا يخفى عليهم هذا الأمر، فهم يعلمون تمام العلم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ لا يتناول عيسى –عليه السلام– كما أنه لا يتناول الملائكة، وإنما المراد بها الأصنام التي يعبدها هؤلاء من دون الله –سبحانه وتعالى–، ولكنه الجدال بالباطل، واللدد في الخصومة، ولذلك قال

(١ ) سورة: "الأنبياء"– الآية: (٩٨).

(٢ ) "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – السمين الحلبي: (٨/ ٢٠٦)ط. دار القلم، دمشق.

تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١)، وقال عنهم في سورة مريم: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (٢).

والمعنى كما يقول صاحب "التسهيل لعلوم التنزيل" –رحمه الله– : "ما ضربوا لك –أيها الرسول الكريم– هذا المثال إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزِّبَعْرَى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى –عليه السلام– لم يدخل في قوله تعالى : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله –سبحانه وتعالى– بأنهم قوم خصمون"(٣).

ثم أجاب الله –تعالى– عن شبهتهم الباطلة تلك، مبيّنًا لحقيقة عيسى –عليه السلام– بقوله –سبحانه–: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٤) أي: ما هو إلا عبدٌ من عباد الله –سبحانه وتعالى– أنعم عليه بالاصطفاء للنبوة، وَجَعله مَثَلًا لبني إسرائِيل أي: أمراً عجيباً وآية معجزة دالةً على قدرته –تعالى، فكان كالمثل السائر لهم(٥)، ومهما يكن من شأنه فإنه لم يخرج عن طاعة الله

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٥٨).
(٢ ) سورة: "مريم"– من الآية: (٩٧).
(٣ ) "التسهيل لعلوم التنزيل"– ابن جزي: (٢/ ٢٦٢).
(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٥٩).
(٥ ) يراجع: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"– البيضاوي: (٥/ ٩٤).

-تعالى- وعبادته، قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١).

ثم بيّن الله -تعالى- كمال قدرته التي لا يعجزها شيء، وأنه -سبحانه- قادر على أن يأتي بما هو أعجب من خلق عيسى -عليه السلام-، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢)، والمعنى كما يقول الطبري -رحمه الله-: "ولو نشاء لأهلكناكم، فأفنيناكم جميعكم، وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفونكم فيها يعبدونني"(٣)، وهذا على أن « مِنْ » في قوله: ﴿ مِنكُم ﴾ بمعنى: بَدَل، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (٤) أي: بَدَلَها، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾(٥)، وقوله سبحانه: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ (٦)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (٧).

---

(١ ) سورة: "النساء"- من الآية: (١٧٢).

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦٠).

(٣ ) "جامع البيان": (٢١/ ٦٣٠).

(٤ ) سورة: "التوبة"- من الآية: (٣٨ ).

(٥ ) سورة: "النساء"- من الآية: ( ١٣٣).

(٦ ) سورة: "الأنعام"- الآية: ( ١٣٣).

(٧ ) سورة: "فاطر"- الآية: ( ١٦).

وذهب بعض المفسرين إلى أن « مِنْ » هنا تبعيضيّة، والمعنى: "وَلَوْ نَشاءُ لَوَلَّدْنا منكم ملائكةً في الأرض يَخْلُفونكم كما يَخْلُفكم أولادُكم، كما وَلَّدْنا عيسى مِنْ أنثى دونَ ذكرٍ، وذلك لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر، حتى تعلموا تميزنا بالقدرة الباهرة". ذكر ذلك الزمخشري –رحمه الله– (١) .

وتواصل الآيات بيان منزلة عيسى –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾ (٢)، أي: "وإن عيسى –عليه السلام– لأمارة ودليل على وقوع الساعة، حيث ينزل –عليه السلام– قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا"(٣)، ليؤكد بنفسه على أنه عبدٌ لله ورسولٌ من عنده وليس إلهًا كما يزعم النصارى، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ –صلى الله عليه وسلم– حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ}(٤) .

هكذا بيّن الله –تعالى– لهم ما يمكن أن يُستدلّ به من قصة عيسى –عليه السلام–، فعيسى –عليه السلام– دليلٌ على البعث الذي ينكره هؤلاء المشركون وأمارةٌ على قيام

---

(١ ) "الكشاف": (٤/ ٢٦١)، بتصرف يسير.

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٦١).

(٣ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٣٦).

(٤ ) "صحيح البخاري": (٣/ ١٢٧٢) رقم: (٣٢٦٤) كتاب: الأنبياء– باب: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام–، "صحيح مسلم":(١/ ١٣٥) رقم: (١٥٥) كتاب: الإيمان– بَاب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– ت: محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الساعة، وليس دليلًا على ما ادّعوه من القياس الفاسد المبنيّ على مقدمات باطلة، لذلك يجب عليهم ألا يكون عندهم شكّ في وقوعها، بل يجب عليهم اتّباع ما جاءهم به الرسول -ﷺ- ، فإن ما يدعوهم إليه هو الطريق المستقيم الموصل إلى النجاة في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾.

وتواصل الآيات خطاب هؤلاء المشركين بتقديم النصح والإرشاد لهم، عن طريق بيان عدوّهم الذي يجب أن يحذروه، وألا يغترّوا بتزيينه لهم، فإنه ظاهر العداوة لهم منذ خلق أبيهم آدم -عليه السلام-، حيث أخرجه من الجنة، وتوعّد ذريته بالغواية والإضلال، فيقول تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢﴾ [1]، فإنه لا يدعوكم إلا إلى ما فيه هلاككم ودماركم.

ثمّ بينت الآيات ما كان من أمر عيسى -عليه السلام- مع قومه، فتُقرر أنه لما اصطفاه الله -تعالى- بالنبوة وآتاه البينات، قال لقومه: ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾، ودعاهم إلى تقوى الله وطاعته، وأكّد لهم على أنّ الله -تعالى- هو ربّه وربّهم، لذلك يجب عليهم عبادة الله وحده، فإنّ هذا هو الطريق المستقيم الذي يجب عليهم اتباعه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤﴾

(١) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦٢ ).

إذن هذا هو عيسى –عليه السلام– لم يدّع لنفسه الألوهية، ولم يزعم أنه ابنًا لله كما قالت النصارى، مما جعل كفار قريش يتخذونه حجة على صحة عبادتهم لأصنامهم التي يعبدونها من دون الله، ها هو ذا يقرر بنفسه أنه عبدٌ الله ورسوله، ويدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مؤكّدًا لهم على أن هذا هو الطريق المستقيم دون غيره من الطرق.

فماذا كان من شأن قومه بعد ذلك؟ لقد اختلفوا من بعده فرقًا وأحزاباً، ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ ، "فمنهم من يُقِرّ بأنه عبد الله ورسوله –وهو الحق، ومنهم من يدّعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول: إنه الله –تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا–ولهذا قال:﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥ ﴾ "[1]

لم يطلب عيسى –عليه السلام– من قومه إلّا عبادة الله –تعالى–، وإخلاص الألوهية له وحده، كما أخبر الله –تعالى– عنه في سورة المائدة قوله: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ ﴾ [2] ، فهو –عليه السلام– كان على علمٍ بحالهم وقت وجوده بين أظهرهم، وقد أدّى الذي عليه تجاههم، لكن بعد وفاته فقد انتهت مهمته، ولم يعد له من الأمر شيء، فكيف يأتي مشركو العرب بعد ذلك ويحاجون النبي –صلى الله عليه وسلم– في شأن عيسى –عليه السلام–، وهو أمرٌ قد استحدثته الفرق والأحزاب من بعده، ولا علم له به ؟!

---

(١ ) "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٣٧).

(٢ ) سورة: (المائدة)– الآية: (١١٧).

إن افتراء هؤلاء الفرق والأحزاب على عيسى -عليه السلام- لظلمٌ بيّن، وكذلك احتجاج المشركين بافتراءاتهم ظلمٌ آخر وانحراف عن الطريق المستقيم، ولذلك توعدهم الله جميعًا بالهلاك والعذاب الأليم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾.

ثم تتساءل الآيات هنا سؤالًا استنكاريا عمّا إذا كان ينتظر هؤلاء وقوع الساعة فجأة وهم لا يشعرون بمقدماتها، فيقول تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1]، وحينئذ لا ينفعهم الندم، ولا يدفع عنهم العذاب أحد.

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

من أساليب الجدل الواردة في هذه الآيات الكريمة:

١- بيان أن مجادلة الخصم تأخذ منحًى غير صحيح، وعليه التوقف عن هذا المسلك الخاطئ إن كان حقًّا يريد الوصول إلى الصواب، وأنه بهذه الطريقة يتصف بالصدّ عن الحق، والخصومة في الجدل، واللدد في المحاجة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

٢- تصحيح استدلال الخصم، ببيان أن ما أتى به من حجة ليس فيه دليل على ما يريده هو، بل على العكس هو دليل على شيء ينكره، لذلك يجب عليه الإيمان به، والتسليم له. وذلك في إجابة الله -تعالى- عن شبهة المشركين في

---

(١) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦٦).

احتجاجهم بعيسى –عليه السلام–، مبيّنًا لحقيقته –عليه السلام– بقوله –سبحانه–: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ (١) أي: إن كنتم تريدون الاحتجاج بعيسى –عليه السلام–، فإنه حجة عليكم لا لكم، لأنه ليس شيئًا مما تقولون، وإنما هو عبدٌ من عباد الله –تعالى– أنعم عليه بالاصطفاء للنبوة، ولم يدعُ قومه إلا إلى تقوى الله وعبادته وحده لا شريك له.

٣– دعوة الخصم إلى اليقين وعدم الشك في الأمور المُسَلّم بوقوعها، حتى لا يضلّ الطريق المستقيم، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

٤– تقديم النصح والإرشاد للخصم، وذلك ببيان الله –تعالى– لهم أن الذي يصدّهم عن الحق هو الشيطان بوساوسه وإغوائه وشكوكه، فإنه يزين لهم الباطل ويشوه لهم صورة الحق، وتوجيه الدعوة لهم إلى عدم اتباعه لأنه عدو ظاهر العداوة لهم.

٥– الاستناد إلى الحقائق التاريخية، فبالرجوع إلى أحداث قصّة عيسى –عليه السلام– مع قومه يتّضح أنه –عليه السلام– لم يدّع لنفسه الألوهية، ولم يزعم أنه ابنًا لله كما قالت النصارى، بل قرر أنه عبد الله ورسوله، ودعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وبذلك تسقط حجة المشركين التي بنوها على عبادة النصارى لعيسى –عليه السلام–.

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٥٩).

٦- الاستفهام الإنكاري المتضمن للتحذير من وقوع الساعة بغتة وهم في غفلةٍ عنها، في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦ ﴾ [١].

هذه الأساليب المتنوعة للجدل تتّحد جميعها لدحض شبهة المشركين، والردّ على جدالهم بالباطل الذي جادلوا به النبي -ﷺ- في شأن عيسى -عليه السلام-، والتأكيد على أن عيسى -عليه السلام- شأنه شأن جميع الرسل، فهو عبد الله ورسوله، ودعا قومه إلى إخلاص العبادة لله -تعالى- وحده لا شريك له، وبذلك تسقط حجتهم الواهية، وتظهر خصومتهم في الجدل، وإصرارهم على الباطل وعدم رغبتهم في الوصول إلى الحق. ولا شكّ أنّ ردّ شبهات المشركين، ودحض افتراءاتهم من المقاصد الأساسية لسورة الزخرف.

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦٦).

**الموضع الثامن: جدال الآيات للمشركين بالمقارنة بين حالهم وحال المؤمنين يوم القيامة، وبيان أن الجزاء من جنس العمل:**

قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [1].

بعدما ذكرت الآيات السابقة أمر السّاعة وتوعدت الظالمين والمشركين المجادلين بالباطل بالعذاب الأليم حين وقوعها بغتة وهم لا يشعرون؛ بيّنت هذه الآيات بعض الأهوال المشار إليها إجمالًا في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]، وفيها "موعظة المشركين بما يحصل يوم

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآيات: ( ٦٧ – ٨٠).

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٦٥).

القيامة من الأهوال لأمثالهم"(١)، والمقارنة بين حالهم وحال المتقين، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (٢)، وقد أشارت الآيات هنا إلى العذاب الذي يتناسب مع حال المشركين في الدنيا، فقد كانوا في الدنيا مجتمعين على الشرّ، وعلى عداوة الرسول -ﷺ- والتربص لدين الإسلام، متوادّين في الكفر، وها هم اليوم ينقلبون أعداءً، وها هو الودّ الذي كان بينهم ينقلب إلى خصومة وعداوة، كما قال تعالى حكاية عن الخليل إبراهيم -عليه السلام- لقومه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (٣)، وهذا المعنى قد أشارت إليه السورة الكريمة سابقًا في قوله -سبحانه-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٤)، أما المتقون فلهم شأن آخر، فإنهم يظلون على صداقتهم التي جمعتهم في الدنيا على طاعة

(١ ) "التحرير والتنوير": (١٠/ ٢٥٢).
(٢ ) سورة: "الأنفال": من الآية: (٤٢).
(٣ ) سورة: "العنكبوت"- الآية: (٢٥).
(٤ ) سورة: "الزخرف"- الآيتان: ( ٣٨ – ٣٩).

الله –تعالى–، لأن ما كان لله –ﷻ– فإنه دائم بدوامه(١)،﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [٢].

وفي خِضَمّ هذه العداوات والمشاحنات بين المشركين ينادي الله –ﷻ– على عباده المتقين تكريمًا لهم: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣]. لا تخافوا من عذاب الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، فإن الدنيا زائلة ونعيم الآخرة هو النعيم الأبديّ الذي لا يفنى، كما قال –تعالى– آنفًا في هذه السورة: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٤].

ويعرّف الله –تعالى– هؤلاء المتقين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾(٥)، فهم المؤمنون بآيات الله –تعالى–، المنقادون لأوامره، الذين أسلموا لله وشرعه. ثمّ يقال لهم تشريفًا: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٦]، ادخلوا الجنة –فهي دار قراركم– أنتم وقرناؤكم المؤمنون ممن كان على نفس عملكم من زوجة وولد وصاحب، تُنَعَّمون وتكرمون وتُسَرُّون فيها، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ

---

(١ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٣٧).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٦٧).

(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٦٨).

(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٣٥).

(٥ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٦٩).

(٦ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٠).

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [1] ، فكان من إكرام الله إياهم أن جعل لهم في الجنة كل ما اشتهته أنفسهم، جزاءً لهم على ما فاتهم من نعيم الدنيا وزخرفها الذي تركوه ابتغاء مرضات الله –تعالى– أو قصرت أيديهم عنه، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [2]. لقد ملّكهم الله إياها وجعلها ميراثًا لهم جزاءً على ما قدموا من أعمال صالحة في الدنيا، رحمة منه وفضلًا ، ولهم فيها فاكهة كثيرة الأنواع يأكلون منها حيث يشاءون ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [3].

وهنا ينتقل الحديث إلى الطرف الآخر –وهم المشركون الظالمون– فإن لهم مصيرًا مختلفًا على النقيض تمامًا من مصير أولئك المتّقين، وبتلك المقارنة يظهر الفرق بين الصورتين، والمقابلة بين الحالتين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [4] ، إنهم في عذابٍ دائم، لا ينقطع لحظة، ولا يخفف عنهم برهة، وهم في هذا العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من رحمة الله، يائسون من النجاة، ثمّ بين –الله سبحانه– بأن ما نزل بهم من العذاب بسبب ظلمهم واستحبابهم العمى على الهدى، فهم من فعلوا

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧١ ).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٢ ) .

(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٣).

(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآيتان: ( ٧٤ – ٧٥).

ذلك بأنفسهم: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (١)، ثم يحكي الله بعض ما كان من أحوالهم وهم في النار، حيث ينادون نداءً يحمل كل معاني الكرب والضيق واليأس: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢)، إنهم يتمنون الموت حتى يستريحوا من وطأة هذا العذاب الشديد، فينادون مالكًا – خازن النار – قائلين وهم في غاية الذل والانكسار: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾، وهنا يأتي الجواب في غاية التيئيس والخذلان، وبلا أدنى رعاية أو اهتمام: ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ إنكم ماكثون فيها بلا موت يخلصكم من عذابها، وبلا حياة آمنة من العذاب، فإنهم كما قال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾(٣) . وقال سبحانه: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤) .

ثم يخاطبهم الله –تعالى– خطابًا يزيد من حسرتهم قائلًا: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٥) لقد جئناكم بالحق على ألسنة رسلنا، ولم

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٦).
(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٧).
(٣ ) سورة: "فاطر"– من الآية:( ٣٦).
(٤ ) سورة: "الأعلى"– الآيات: (١١ – ١٣).
(٥ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٨).

نترك وسيلة لإقناعكم به وإرشادكم إليه إلا وسلكناها معكم، ولكن كراهتكم للحق هي التي صدّتكم عن اتّباعه، فقد كان أكثركم كارهون للحق، مصرّون على الكفر والشرك، ماضون على التكذيب والعناد.

ثمّ ينتقل الله إلى تأنيبهم على ما كان منهم في الدنيا من كيدٍ للحق ومكرٍ بأهله، فقال تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (١)، "والإبرام: هو الإحكام، يقال: أَبْرَمَ الأَمرَ وبَرَمَه أَحْكَمه، والأصل فيه إِبْرامُ الفَتْل إذا كان ذا طاقيْن، وأَبْرَمَ الحَبْلَ أَجادَ فتله"(٢)، والمعنى: هل أحكموا كيدهم للنبي –ﷺ– ولأصحابه؟ إن كانوا يظنون ذلك فإن الله –تعالى– هو أعظم كيدًا منهم، وهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ (٣).

ثمّ يوبخهم الله –تعالى– على انحراف تفكيرهم وضعف عقولهم بقوله –سبحانه–: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٤)، أي: "أيظن هؤلاء الجاهلون أننا لا نعلم ما يتحدثون به مع أنفسهم، وما يتحدثون به مع غيرهم في خفية واستتار؟ إذا كانوا يظنون ذلك فقد خابوا وخسروا، فإننا نعلم سرهم ونجواهم. ورسلنا الذين يحفظون عليهم أعمالهم، ملازمون لهم، ويسجلون عليهم كل صغيرة وكبيرة"(٥).

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٧٩).

(٢ ) "لسان العرب"– ابن منظور: (١٢/ ٤٣)– مادة: ( برم ).

(٣ ) سورة: "الطارق"– الآيات: (١٥ – ١٧).

(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٠ ) .

(٥ ) "التفسير الوسيط": (١٣/ ١٠٢).

لقد ظنوا أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء، وأن أعمالهم التي يعملونها في الخفاء لن يراها أحد، ولم يطّلع عليها غيرهم، وها هم اليوم يُفاجؤون بالحقيقة التي كانوا في غفلة عنها، فكلّ شيء فعلوه مكتوب في كتاب عند الله الذي أحاط بكل شيء علمًا ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وسيلقون جزاءهم المحتوم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [1].

*** أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

في الآيات الكريمة من أساليب الجدل ما يلي:

١- أسلوب المقابلة والمقارنة بين مصير المتقين ومصير المشركين، حتى يُدرك الخصم ويعقل الفرق بين المصيرين، ويعرف عاقبة طريق الحق وعاقبة طريق الضلال، فيكون على بيّنة من أمره، ويستدرك ما فاته قبل ألا ينفع الندم.

٢- تذكير الخصم بأنه ليس لديه رغبة في الوصول للحق، بل هو مبغضٌ للحق كارهٌ له، بالرغم من تقديم كل الأدلة الواضحة عليه وسلوك كل سبل الإرشاد والإقناع، بل غرضه مجرد العناد والمكابرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2].

---

(١ ) سورة: "الكهف"- الآية: (٤٩).

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٧٨).

٣- أسلوب التوبيخ، واستنكار فعل الخصم، وطريقة تفكيره، بهدف إقناعه بخطأ رأيه، وسوء فعله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [١]، وفي قوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٢].

وقد جاء أسلوب الجدل في هذه الآيات الكريمة بهدف إثبات البعث والحساب، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين، وهو مقصد عظيم من مقاصد القرآن عمومًا، ومن مقاصد سورة "الزخرف" بصفة خاصة.

***

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٧٩).

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٨٠ ).

**الموضع التاسع: جدال الآيات للمشركين لإثبات استحالة نسبة الولد أو الشريك إلى الله –سبحانه وتعالى–:**

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١)

انتقلت الآيات الكريمة إلى تلقين النبي –ﷺ– الردّ على هؤلاء المشركين الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله، ويدّعون لله ولدًا – تنزّه سبحانه عن ذلك وتعالى علوًّا كبيرًا–، ردًّا يلزمهم به الحجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٢)، والمعنى كما يقول الزمخشري –رحمه الله–: "﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ وصَحّ ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلّون بها ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ﴾ من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآيات: ( ٨١ – ٨٩).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨١).

كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفى الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة، مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك أنه علّق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها)(١).

وهذا الأسلوب في محاجّة الخصم هو ما يسمى بـ "دليل التلازم"؛ وهو من الأدلّة العقلية المبنية على العلاقة بين اللازم والملزوم، بحيث إذا ثبت أحدهما ثبت الآخر، وإذا نفي أحدهما نفي الآخر(٢)،وهو من أبلغ الأساليب في إفحام الخصم، عن طريق إقامة الحجة عليه من واقع إقراره.

وطريقه في الآية: أنه علّق عبادة الولد على وجوده، ووجوده محال في ذاته، لأنه يؤدي إلى العجز والنقص والحاجة لغيره، والإله منزّه عن العجز كامل الصفات، فعبادة الولد إذن محال. "وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقده، وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده. وهذا ترقيق في الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾(٣)"(٤).

---

(١ ) "الكشاف": (٤/ ٢٦٥، ٢٦٦).

(٢ ) يراجع: "إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول"– الشوكاني: (٢/ ١٧٢ ) ط. دار الكتاب العربي–الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٣ ) سورة: "سبأ"– من الآية: (٢٤).

(٤ ) "الجامع لأحكام القرآن"–القرطبي:(١٦/ ١١٩).

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] وقوله سبحانه: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [2].

ثم أكّد الله –تعالى– نفي الولد بقوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣) تنزّه وتقدّس عما يصفه به المشركون كذبًا وافتراءً، فهو سبحانه ربّ السماوات ورب الأرض وربّ العرش العظيم.

ثمّ وجه الله –تعالى– الخطاب لنبيه –ﷺ– آمرًا إيّاه بالإعراض عن هؤلاء المشركين المُصرّين على الكفر والعناد، تاركًا لهم يخوضون في جهلهم وضلالهم، ويلعبون في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الموعود الذي فيه جزاؤهم، فقال تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [4]، فإنه لم يعد يجدي معه نصحًا، ولا تنفعهم موعظة، فلا تهتم بأمرهم، ولا تتحسّر عليهم، فالله –ﷻ– متكفّلٌ بهم، وهو –سبحانه– عليم بما يصنعون، ومجازيهم عليه، وفي هذا الأسلوب من التهديد والوعيد ما لا يخفى.

ثمّ يبين الله –تعالى– عظم قدرته وجلاله، وسعة ملكه وسلطانه، "فأفاد نفي الشريك عنه في الإلهية مطلقا بعد نفي الشريك فيها بالبنوة"(٥)، وذلك بقوله

---

(١ ) سورة: "الأنبياء"– الآية : (٢٢).
(٢ ) سورة: "الزمر"– الآية: (٤).
(٣ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٢).
(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٣).
(٥ ) "التحرير والتنوير": (٢٥/ ٢٦٧).

تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾[1] ، أي: وهو –سبحانه– المتفرد بالألوهية في السماء وفي الأرض، لا شريك له، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، واقعون تحت سلطانه، أذلاء بين يديه ، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فكل ما خلق –سبحانه– موزون بحكمته، مقدرٌ بقدَره، واقعٌ بعلمه، لا تخفى عليه خافية، ولا يُعجزه شيء.

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] وتبارك –سبحانه– وتقدس وتعالى عن الشريك أو الولد، فهو –ﷻ– خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، ويذكّرهم الله تعالى بيوم الحساب الذي لا يعلم وقته إلّا هو بقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إليه وحده، لا إلى غيره، فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر(٣) .

ثم ينبئهم الله –تعالى– بأنه لا شفاعة عنده إلّا بإذنه، وبأن ما يعبده هؤلاء المشركون من دونه –سبحانه– لا يقدرون على أن يشفعوا لهم كما زعموا، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[4].

---

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٤ ).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: (٨٥).

(٣ ) يراجع: "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٤٣).

(٤ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٦).

والمعنى: ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة، كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله، لكن من آمن وشهد بالحق المنزل من عند الله، عن بصيرة ويقين وإخلاص، فإن شفاعته مقبولة عند الله بإذنه، وكان هؤلاء المشفعون على علم وبصيرة بما شهدوا به(١) .

ثم يقول الله –تعالى– منكرًا على هؤلاء المشركين عبادتهم لغير الله، مع اعترافهم وإقرارهم بأن الله –تعالى– هو الذي خلقهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٢)

إنهم لا يستطيعون الإنكار في هذا الأمر، وذلك "لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره"(٣)، فهم يعلمون تمام العلم أنهم مِن خلْق الله، وأن الملائكة التي يعبدونها مِن خلْق الله كذلك، ومع هذا العلم والإقرار منهم بخلق الله لهم ولمعبوداتهم لا يعبدون الله –تعالى– الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض، بل ينتقلون عن عبادته إلى عبادة غيره! إنه تناقض عجيب، يدل على غاية جهلهم، وسخافة عقولهم، إذ كيف ينصرفون عن الحق الذي يعترفون به، وينحرفون عن التوحيد الذي تشهد به فطرتهم التي فطرهم الله عليها؟ ولذلك قال تعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾، ففعلهم هذا لا يستند على عقلٍ أو منطق، وإنما يعتمد على الوهم والسراب .

---

(١ ) يراجع: "الكشاف": (٤/ ٢٦٨).

(٢ ) سورة: "الزخرف"– الآية: ( ٨٧).

(٣ ) "أنوار التنزيل"–البيضاوي: (٥/ ٩٨).

وتُختتم السورة الكريمة بتلك المناجاة الرقيقة من النبي –صلى الله عليه سلم، وشكواه إلى ربّه –ﷻ– عدَم إيمان قومه، وإجابة الله –ﷻ– نداءه –ﷺ– بدعوته إلى الصفح والإعراض عنهم، في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩ ﴾ (١)، أي: وقال الرسول –ﷺ– قيله، أي قوله، والمعنى : "شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ (٢) "(٣) .

لقد كان –صلى الله عليه وسلم– حريصًا أشدّ الحرص على إيمانهم، يشقّ عليه إعراضهم وانصرافهم عن دعوته، وكان يَحزُنُه الذي يقولون من التكذيب والإنكار، شفقةً عليهم ورحمةً بهم، كما حكى القرآن الكريم عنه في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ (٤)، وقوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾(٥)، وقد بيّن الله – تعالى– له أنه يعلم ما بقلبه من الحزن على تكذيب قومه، وأخبره بأنهم لا يكذبونه في قرارة أنفسهم، لعلمهم بصدقه وأمانته، ولكنه الجحود للحقّ ظلمًا منهم وعدوانًا؛ فقال تعالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ

(١ ) سورة: "الزخرف"– الآيتان: ( ٨٨ – ٨٩).
(٢ ) سورة: "الفرقان"– الآية: (٣٠).
(٣ ) "تفسير القرآن العظيم"– ابن كثير: (٧/ ٢٤٤).
(٤ ) سورة: "الكهف"– الآية: ( ٦).
(٥ ) سورة: "الشعراء"– الآية: ( ٣ ).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ (١)، وأمره -سبحانه- بألّا يُهلك نفسه حزنًا وتأسّفًا عليهم، وعلى ضلالهم، فالله -تعالى- عليمٌ بأعمالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، وهو -ﷻ- مجازيهم على صنيعهم، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ (٢).

وكانت إجابة الله -تعالى- لنداء نبيه -ﷺ- في ختام هذه السورة الكريمة هي دعوته إلى الصفح والإعراض والمسالمة، بقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾(٣)، بما يحمله هذا الختام من التحذير لهؤلاء المكذبين المُعرضين بأنهم سوف يعلمون عاقبة إعراضهم، ومع ما فيه من التسلية للنبي الكريم -ﷺ- بأنه سوف يحصل لهم العلم بعد الجهل، وسوف يعلمون حينها أنهم لم يكونوا على الحق وقت تكذيبهم له، يدلّ على هذه المعاني حذف المفعول في كلمة ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، وذلك حتى تذهب النفس فيه كلّ مذهب -كما يقول المفسرون -رحمهم الله-.

"وما في هذه الآية من الأمر بالإعراض والتسليم في الجدال والوعيد؛ ما يؤذن بانتهاء الكلام في هذه السورة، وهو من براعة المقطع" كما يقول ابن عاشور -رحمه الله- (٤).

---

(١ ) سورة: "الأنعام"- الآية: ( ٣٣).

(٢ ) سورة: "فاطر"- الآية: ( ٨).

(٣ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٨٩).

(٤ ) "التحرير والتنوير": (٢٥/ ٢٧٤).

ولقد امتثل النبي -ﷺ- لدعوة ربّه -ﷻ-، فما زاده أذى قومه إلَا حلمًا، وما زادته إساءتهم إلّا صفحًا، وما زاده ظلمهم إلا عفوًا وإحسانًا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (١)

وبهذا الختام الرائع تُختم السورة المباركة، والتي تُعَدّ مَثَلًا للدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والتي كانت نموذجًا لمنهج القرآن في الجدال بالتي هي أحسن، بهدف الإقناع بالحق، وتصحيح المفاهيم مع مراعاة أحوال المخاطبين، آخذًا بعقولهم وقلوبهم إلى الهدى والبينات.

**أثر أسلوب الجدل في هذا الموضع من السورة في تحقيق مقاصدها:**

اشتمل هذا الموضع من السورة على عدة أساليب للجدل القرآني، منها:

١- أسلوب الافتراض الجدلي، عن طريق افتراض صحة القول الذي يدّعيه الخصم، ثمّ الردّ عليه ردًّا منطقيًّا وعقليًّا، بهدف إقناعه وإلزامه بالحجة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ ﴾ (٢)

٢- دليل التلازم، الذي يعتمد على العلاقة بين اللازم والملزوم، بحيث إذا ثبت أحدهما ثبت الآخر، وإذا نفي أحدهما نفي الآخر، وذلك في نفس الآية السابقة -كما سبق بيانه-، فقد علّق عبادة الولد بوجوده، ووجوده محال، فعبادته إذن من المحال.

---

(١ ) سورة: "الأنبياء"- الآية: ( ١٠٧ ).

(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٨١).

٣- أسلوب التهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [١] .

٤- إثبات تناقض الخصم مع نفسه، حيث يعترف بالحق ويُقرّ به، ومع ذلك ينصرف عنه إلى غيره، وبيان أن فعله هذا لا يعتمد على حجة أو يستند إلى دليل؛ بل هو مجرد المكابرة والعناد. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٢] .

هذه الأساليب المتنوعة للجدل تتناغَم معًا لتحقيق مقاصد رئيسية للسورة الكريمة، وهي إثبات وحدانية الله -تعالى- وتنزيهه عن الشريك والولد، وإثبات البعث والحساب يوم القيامة، وكذلك إبطال شُبَه المشركين والردّ عليها ردًّا يقطع حجتهم، ويُفنّد دعواهم، ويزيل شكوكهم.

(١ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٨٣).
(٢ ) سورة: "الزخرف"- الآية: ( ٨٧).

## خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الرحمات والبركات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فقد تناول البحث: "أثر أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية لسورة الزخرف"، وقُسّم إلى مبحثين: المبحث الأول كان عن: التعريف بسورة الزخرف، وبيان مقاصدها. وأما المبحث الثاني فتناول: أسلوب الجدل القرآني في سورة الزخرف، وأثره في تحقيق مقاصدها. وكان الحديث في المطلب الأول منه حول: أسلوب الجدل القرآني، وأهميته في تحقيق المقاصد القرآنية بصفة عامة، ذكرت فيه تعريف الجدل لغة واصطلاحًا، وبيان أهم سمات أسلوب الجدل القرآني، ثمّ تناول البحث بيان أهمية أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية بصفة عامة. وجاء المطلب الثاني لبيان مواضع الجدل في سورة الزخرف، وأثرها في تحقيق مقاصدها بصفة خاصة، وهو المطلب الرئيسي في البحث، قسّمت فيه موضوعات السورة إلى تسعة موضوعات رئيسية، وبينت مواضع الجدل في كل منها، وأثره في تحقيق مقاصدها وكانت كالتالي:

- الموضع الأول: جدال الآيات للمشركين في إعراضهم عن القرآن وتكذيبهم للرسول –ﷺ–.
- الموضع الثاني: جدال الآيات للمشركين في إثبات وحدانية الله –تعالى، وإثبات قضية البعث.

- الموضع الثالث: جدال الآيات للمشركين في عبادتهم للملائكة وقولهم إنها بنات الله، وتفنيد تقليدهم الأعمى.
- الموضع الرابع: جدال الآيات للمشركين في اعتراضاتهم على الرسول –ﷺ– وعلى دعوته، وبيان حكمة الله –تعالى– في اختيار رسله، وتقسيم رزقه.
- الموضع الخامس: جدال الآيات للمشركين عن طريق التهديد لهم والتنديد بهم، وبيان سوء عاقبة الكفر والإعراض عن ذكر الله –ﷻ–، وأن التوحيد هو دعوة جميع الرسل –عليهم السلام–.
- الموضع السادس: جدال الآيات للمشركين عن طريق ضرب المثل بقصة موسى –عليه السلام– مع فرعون وقومه.
- الموضع السابع: الردّ على جدال المشركين بالباطل في عيسى –عليه السلام–، ودحض شبهتهم.
- الموضع الثامن: جدال الآيات للمشركين بالمقارنة بين حالهم وحال المؤمنين يوم القيامة، وبيان أن الجزاء من جنس العمل.
- الموضع التاسع: جدال الآيات للمشركين لإثبات استحالة نسبة الولد أو الشريك إلى الله –سبحانه وتعالى–.

**وقد توصل البحث إلى تعدد أساليب الجدل في هذه السورة الكريمة، وكان من أبرزها ما يلي:**

أسلوب التحدّي، وأسلوب الاستفهام الإنكاري، والقياس التمثيلي، وتقديم الأدلّة والبراهين، ومجاراة الخصم، والتهديد والإنذار من سوء العاقبة، وردّ كلام الخصم من فحوى كلامه، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وكشف حقائق الأمور،

ودعوة الخصم إلى سؤال الغير وانتظار الجواب منه، حتى يحصل له العلم بأن ما هو عليه ليس من الحقّ في شيء، وتصحيح استدلال الخصم، ببيان أن ما أتى به من حُجّة ليس فيه دليل على ما يريده هو، بل دليل على عكس قوله وهو ما ينكره من الحقّ، لذلك يجب عليه الإيمان به، والتسليم له.

كما أن من أساليب الجدل في السورة أيضًا: أسلوب الافتراض الجدلي، عن طريق افتراض صحة القول الذي يدّعيه الخصم، ثمّ الردّ عليه ردًّا منطقيًّا وعقليًّا، بهدف إقناعه وإلزامه بالحجة.

ودليل التلازم، الذي يعتمد على العلاقة بين اللازم والملزوم، بحيث إذا ثبت أحدهما ثبت الآخر، وإذا نفي أحدهما نفي الآخر.

وأسلوب المقابلة والمقارنة بين مصير المتقين ومصير المشركين حتى يُدرك الخصم ويعقل الفرق بين المصيرين، ويعرف عاقبة طريق الحق وعاقبة طريق الضلال، فيكون على بيّنة من أمره، ويستدرك ما فاته.

**وانتهى البحث إلى جملة من النتائج أهمها:**

١) سورة الزخرف سورة مكية تحمل سمات القرآن المكي بوضوح؛ حيث كان محور الحديث فيها حول محاجة المشركين في قضايا العقيدة الأساسية.

٢) تركزت مقاصد السورة الكريمة في: إثبات وحدانية الله -تعالى-، وإثبات نبوة الرسول -ﷺ-، والتحدي بالقرآن، وإثبات اليوم الآخر بما فيه من حساب وجزاء.

٣) من أهم سمات أسلوب الجدل القرآني، الجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، مع قوّة الحجة وبساطة الأسلوب وسلامة التركيب ووضوح النتائج.

٤) أهمية أسلوب الجدل في تحقيق المقاصد القرآنية العامة من إثبات وحدانية الله –تعالى–، وإثبات الوحي والرسالة، وإثبات البعث والحساب والجزاء، والردّ على شبهات المشركين وأباطيلهم، وغير ذلك من مقاصد القرآن.

٥) أسلوب الجدل هو أبرز الأساليب التي تتجلى في سورة "الزخرف"، بهدف ردّ شبهات المشركين وإبطال عقائدهم الفاسدة، وجاء هذا الأسلوب بأقوى وسائل الحجة والإقناع، مع وضوح العبارة، وسموّ المقصد، وغاية البيان.

٦) جاء أسلوب الجدل في السورة الكريمة على صور متعددة، وقد اتّحدت جميعها لتحقيق مقاصدها بأسلوبٍ معجز وبيانٍ محكم.

٧) أثبتت السورة تناقض المشركين مع أنفسهم لعدم ترتيبهم النتائج المنطقية على معتقداتهم التي يعتقدون بها، مما يدلّ على عنادهم ومكابرتهم.

٨) بيّنت السورة أن أقوال المشركين ليست صادرة عن علم، وأنهم ليس لديهم مستندٌ من عقل ولا نقل، وأنّ حجتهم الوحيدة هي التقليد الأعمى للآباء.

٩) وضحت السورة أن هؤلاء المشركين لا يتركون مجالًا للمناقشة، ويغلقون كل باب للحوار، ويصدون عن الحق، ويتصفون بالخصومة في الجدل، وأن مجادلتهم تأخذ منحًى غير صحيح، وعليهم التوقف عن هذا المسلك الخاطئ إن كانوا حقًّا يريدون الوصول إلى الصواب.

١٠) في السورة دعوة للمشركين إلى تفعيل ما وهبهم الله –تعالى– من عقول وجوارح حتى يعقلوا الأدلة التي تُعرض عليهم.

١١) في السورة الكريمة تسلية للنبي –ﷺ– عما كان يلاقيه من تكذيب قومه وإصرارهم على الكفر ، وجدالهم بالباطل.

**<u>أهم التوصيات</u>: أوصي الباحثين بما يلي:**

- زيادة الدراسات القرآنية التي تعنى بأساليب القرآن الكريم، وبيان أثرها في تحقيق مقاصده.
- دراسة الترابط بين مقاصد كل سورة، وبيان العلاقة بينها وبين المقاصد القرآنية العامة.
- المقارنة بين مقاصد السور المكية والسور المدنية، ودراسة مناسبتها لوقت نزول السورة.

هذا والله –تعالى– أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى وآله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربّ العالمين.

***

# فهرس المصادر والمراجع

## أولاً: القرآن الكريم

## ثانيًا: التفسير وعلوم القرآن


- "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"- أبو السعود- ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- "الإتقان في علوم القرآن"- جلال الدين السيوطي- ت: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- "البيان في عد آي القرآن"- أبو عمرو الداني- ط. مركز المخطوطات والتراث- الكويت- الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.
- "التحرير والتنوير"- محمد الطاهر بن عاشور- ط. الدار التونسية – تونس- ١٩٨٤ هـ.
- "التسهيل لعلوم التنزيل"- ابن جزي- ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ
- "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"- أ. د/ محمد سيد طنطاوي- ط. دار نهضة مصر – القاهرة-الطبعة: الأولى- ١٩٩٨.
- "الجامع لأحكام القرآن"- القرطبي-ط. دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – السمين الحلبي- ط. دار القلم، دمشق.

- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"- أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله- ط. دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"- ابن عطية-ط. دار الكتب العلمية – بيروت.
- "المعجزة الكبرى القرآن"- محمد أبو زهرة – ط. دار الفكر العربي.
- "النشر في القراءات العشر"- شمس الدين ابن الجزري- ت: علي محمد الضباع- ط. دار الكتاب العلمية.
- "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"- ناصر الدين البيضاوي- ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- "تفسير القرآن العظيم"- ابن كثير ت: سامي بن محمد سلامة- ط. دار طيبة –الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
- "جامع البيان"- ابن جرير الطبري- ت: أحمد محمد شاكر – ط. مؤسسة الرسالة – الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- "جواهر القرآن"- أبو حامد الغزالي- ت: د. محمد رشيد رضا القباني- ط. دار إحياء العلوم، بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"- شهاب الدين محمود الألوسي- ط. دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

- "علم مقاصد السور"- د. محمد الربيعة- ط. مكتبة الملك فهد- ط. الأولى- الرياض- ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م.
- "فتح القدير"- محمد بن علي الشوكاني- ط. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- "مباحث في علوم القرآن"- مناع القطان- ط. مكتبة المعارف- الطبعة: الثالثة- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- "مصاعد النَّظَر للإشراف على مقاصد السور"- البقاعي- ط. مكتبة المعارف - الرياض- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- "معاني القرآن وإعرابه"- أبو إسحاق الزجاج - ت: عبد الجليل عبده شلبي- ط. عالم الكتب - بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- "مفاتيح الغيب" فخر الدين الرازي- ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠ هـ.
- "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"- الشيخ: محمد الغزالي- ط. دار الشروق- القاهرة- الطبعة التاسعة- ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.


## الحديث وعلومه


- "النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير- ط. المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- "صحيح البخاري" ط. دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت- ط. الثالثة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- "صحيح مسلم"- ت: محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- "مسند الإمام أحمد بن حنبل"- ت: شعيب الأرنؤوط- ط. مؤسسة الرسالة- الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

## أصول الفقه

- "إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول"- الشوكاني- ط. دار الكتاب العربي-الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- "الإبهاج في شرح المنهاج"- (شرح منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)- تقي الدين السبكي- ط. دار الكتب العلمية –بيروت- ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م.
- "البحر المحيط في أصول الفقه"- الزركشي- ط. دار الكتبي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

## التراجم والطبقات

- "أسد الغابة في معرفة الصحابة"- ابن الأثير- ط. دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"- الشوكاني- ط. دار المعرفة – بيروت.
- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"- السخاوي- ط. منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"- ابن العماد- ت: محمود الأرناؤوط- ط. دار ابن كثير، دمشق – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- "معرفة الصحابة"- أبو نعيم الأصبهاني- ط. دار الوطن- الرياض- الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

## علوم اللغة والمعاجم

- "البلاغة العربية"- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني- ط. دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"- الجوهري- ت: أحمد عبد الغفور عطار- ط. دار العلم للملايين – بيروت- ط. الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- "لسان العرب"- ابن منظور- ط. دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى.
- "معجم مقاييس اللغة"- ابن فارس- ت: عبد السلام محمد هارون- ط. دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

## كتب متنوعة

- "أبجديات البحث في العلوم الشرعية"- فريد الأنصاري – ط. دار النجاح الجديدة- الدار البيضاء – ط . الأولى – ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- "مقاصد الشريعة الإسلامية"- الطاهر بن عاشور- ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر-١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- "مقاصد المقاصد- الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة"- د. أحمد الريسوني- ط. دار الشبكة العربية للأبحاث- ط. الأولى ٢٠١٣م- بيروت.
- "مناهج البحث العلمي" د. عبد الرحمن بدوي- ط. وكالة المطبوعات- الكويت- الطبعة: الثالثة- ١٩٧٧م.


## SOURCE AND REFERENCES


**First: the Holy Quran**

**Second: interpretation and Quranic Sciences**

**" •Guiding the sound mind to the advantages of the holy book"- Abu Al - Saud-I. House of revival of Arab heritage-Beirut.**

**" *Mastery in the sciences of the Qur'an" - Jalal al - Din al - Suyuti-t: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim-t. The Egyptian General Authority for writers - 1394 Ah/ 1974 AD.**

**" •The statement in the verse of the Qur'an"- Abu Amr al - Dani-I. Manuscripts and Heritage Center-Kuwait-first edition - 1414 Ah - 1994 ad.**

**" *Liberation and enlightenment"- Muhammad Al - Tahir Ibn Ashur-I. The Tunisian House-Tunisia-1984 Ah.**

**" •Facilitation of download Sciences" - Ibn Jazi-I. Dar Al-Arqam ibn Abi Al-Arqam-Beirut-first edition - 1416 Ah**

**" •Intermediate interpretation of the Holy Quran" - A. Dr. Mohamed Sayed Tantawi-I. Dar Nahdet Misr-Cairo-first edition-1998 .**

" •The mosque of the provisions of the Qur'an" - al-Qurtubi-I. Egyptian House of books-Cairo-second edition, 1384h - 1964g.

" •The protected course in the sciences of the Maknoon book" - Al-Sameen al-Halabi-I. Dar Al-Qalam, Damascus.

" •Revealing the facts of the mysteries of the download" - Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr, zamakhshari Jarallah-I. Arab Book House-Beirut - third edition-1407 Ah.

" *The brief editor in the interpretation of the Dear Book" - Ibn Atiyah-I. House of scientific books-Beirut.

" •The great miracle of the Quran" - Muhammad Abu Zahra-I. The House of Arab Thought.

" *Publishing in the ten readings" - Shams al - Din ibn al-Jazari-t: Ali Muhammad al-Dabaa-t. Scientific Book House.

" •The lights of downloading and the secrets of interpretation"- Nasser al - Din al-baydawi-I. House of revival of Arab heritage-Beirut-first edition - 1418 H.

" *Interpretation of the great Qur'an" - Ibn Kathir t: Sami ibn Muhammad Salama-t. Dar Taiba-second edition: 1420 Ah - 1999 ad.

" *Collector of the manifesto" - Ibn Jarir al - Tabari - T: Ahmed Mohammed Shaker-t. The foundation of the message-the first, 1420 Ah - 2000 AD.

" *The jewels of the Quran" - Abu Hamid Al-Ghazali-T: D. Mohammad Rashid Reza Al-Qabbani-I. Dar revival of Sciences, Beirut-second edition, 1406 Ah - 1986 ad.

" *The spirit of meanings in the interpretation of the great Qur'an and the seven muthani"- Shihab al - Din

Mahmoud al-Alusi-I. House of scientific books-Beirut-first edition, 1415 H .

" •Knowledge of the purposes of the fence" - Dr. Muhammad Al-Rabeeah-I. King Fahd Library-I. The first - Riyadh-1432 Ah/ 2011 ad.

" *Fateh al-Qadir" - Muhammad ibn Ali al-shawkani-I. Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalm al-Tayeb-Damascus, Beirut-first edition - 1414 Ah.

" •Research in the sciences of the Koran" - Manna Al-Qattan-I. Knowledge Library-third edition-1421 Ah-2000 AD.

" •Viewing elevators to supervise the purposes of the fence" - Bekaa'i-I. Library of knowledge-Riyadh-first edition: 1408 Ah-1987 ad .

" *Meanings of the Qur'an and its expression" - Abu Ishaq Al - glass - t: Abdul Jalil Abdu Shalabi-t. The world of books-Beirut-first edition: 1408 Ah-1988 ad.

" *Keys of the unseen" Fakhreddin Razi-I. House of revival of Arab heritage-Beirut-third edition-1420 Ah .

" •Towards an objective interpretation of the surah of the Holy Quran" - Sheikh: Mohammed Al-Ghazali-I. Dar Al-Shorouk-Cairo-ninth edition-1427 Ah/ 2007 ad.

Hadith and its Sciences

" •The end is in a strange Hadith and effect-the son of ether-I. Scientific Library-Beirut, 1399 Ah-1979 ad.

" •Sahih Bukhari" I. Dar Ibn Kathir, Yamama-Beirut-I. The third , 1407 Ah – 1987 ad .

" *True Muslim" - t: Muhammad Fuad Abdul Baqi I. House of revival of Arab heritage-Beirut.

" •The Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal" - t: Shoaib Al-Arnout-t. The message Foundation-second edition: 1420 Ah , 1999 ad.

Origins of jurisprudence

" •Guiding Stallions to achieve the truth from the science of Origins" - shawkani-I. Arab Book House-first edition 1419 Ah-1999 ad.

" •Delight in explaining the curriculum" - (explaining the curriculum of access to the science of origins to the Oval judge) - Taqi al-Din al-Subki-I. House of scientific books-Beirut-1416 Ah - 1995 ad.

" •The surrounding sea in the origins of jurisprudence" - Al-Zarkashi-I. Dar Al-Ketbi-first edition, 1414 Ah-1994 ad.

Translations and layers

" •The Lion of the forest in the knowledge of the companions" - Ibn Aether - I. House of scientific books-first edition-1415 Ah-1994 ad.

" •The auspicious full moon after the seventh century" - shawkani - I. House of knowledge-Beirut .

" •The bright light of the people of the IX century" - sakhawi-I. Publications of the library of life – Beirut .

" *Gold nuggets in the news of gold" - Ibn al - Imad-t: Mahmoud al-Arnaout-I. Dar Ibn Kathir, Damascus-Beirut-first edition, 1406 Ah - 1986 ad

" *Knowledge of the companions" - Abu Naeem al-asbahani-I. Dar Al-Watan-Riyadh-first edition: 1419 Ah-1998 ad.

Linguistics and lexicology

" *Arabic rhetoric" - Abdul Rahman Bin Hassan habanka al - Midani-I. Dar Al-Qalam, Damascus, Dar Al-Shamiya, Beirut-first edition, 1416 Ah - 1996 ad.

" *Sahih is the crown of the language and Sahih is Arabic" - Al - Johari - T: Ahmed Abdul Ghafoor Attar-t. Dar Al-Alam for millions-Beirut-I. The fourth is 1407 Ah - 1987 ad.

" •The tongue of the Arabs" - Ibn perspective-I. Sadr House-Beirut-first edition.

" *Lexicon of language metrics" - Ibn fares-t: Abdus Salam Muhammad Harun-T. House of thought - 1399 Ah-1979 ad.

Miscellaneous books

" *The ABCs of research in the Forensic Sciences" - Farid Al - Ansari-I. New success House-Casablanca-I. The first٧-141h٩٩٧/ 1m.

" •The purposes of Islamic Law" - Tahir Ibn Ashur-I. Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar-1425 Ah - 2004 ad.

" *Maqasid Al-Maqasid - the scientific and practical goals of Maqasid al-Sharia" - Dr. Ahmed Raissouni-I. The House of the Arab Network for research-I. First 2013-Beirut .

"Methods of scientific research" Dr. Abdul Rahman Badawi-I. Publications agency-Kuwait-third edition-1977.

# فهرس الموضوعات


| رقم | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | الملخص باللغة العربية. | ١٧٤١ |
| ٢ | Abstract | ١٧٤٢ |
| ٣ | مقدمة البحث | ١٧٤٣ |
| ٤ | المبحث الأول: التعريف بسورة الزخرف، وبيان مقاصدها. | ١٧٤٨ |
| ٥ | أولًا: التعريف بسورة الزخرف | ١٧٤٨ |
| ٦ | ثانيًا: المراد بالمقاصد القرآنية | ١٧٥١ |
| ٧ | ثالثًا: مقاصد سورة الزخرف | ١٧٥٥ |
| ٨ | المبحث الثاني: أسلوب الجدل القرآني في سورة الزخرف، وأثره في تحقيق مقاصدها | ١٧٥٨ |
| ٩ | المطلب الأول: أسلوب الجدل القرآني، وأهميته في تحقيق المقاصد القرآنية. | ١٧٥٨ |
| ١٠ | المطلب الثاني: مواضع الجدل في سورة الزخرف، وأثرها في تحقيق مقاصدها | ١٧٦٩ |
| ١١ | الموضع الأول: جدال الآيات للمشركين في إعراضهم عن القرآن وتكذيبهم للرسول -ﷺ-: | ١٧٦٩ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٢ | الموضع الثاني: جدال الآيات للمشركين في إثبات وحدانية الله –تعالى، وإثبات قضية البعث. | ١٧٧٥ |
| ١٣ | الموضع الثالث: جدال الآيات للمشركين في عبادتهم للملائكة وقولهم إنها بنات الله، وتفنيد تقليدهم الأعمى. | ١٧٨٠ |
| ١٤ | الموضع الرابع: جدال الآيات للمشركين في اعتراضاتهم على الرسول –ﷺ– وعلى دعوته، وبيان حكمة الله –تعالى– في اختيار رسله، وتقسيم رزقه. | ١٧٩٠ |
| ١٥ | الموضع الخامس: جدال الآيات للمشركين عن طريق التهديد لهم والتنديد بهم، وبيان سوء عاقبة الكفر والإعراض عن ذكر الله –ﷻ–، وأن التوحيد هو دعوة جميع الرسل –عليهم السلام–. | ١٨٠٠ |
| ١٦ | الموضع السادس: جدال الآيات للمشركين عن طريق ضرب المثل بقصة موسى –عليه السلام– مع فرعون وقومه. | ١٨٠٧ |
| ١٧ | الموضع السابع: الردّ على جدال المشركين بالباطل في عيسى –عليه السلام–، ودحض شبهتهم. | ١٨١٣ |
| ١٨ | الموضع الثامن: جدال الآيات للمشركين بالمقارنة بين حالهم وحال المؤمنين يوم القيامة، وبيان أن الجزاء من جنس العمل. | ١٨٢٤ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٩ | الموضع التاسع: جدال الآيات للمشركين لإثبات استحالة نسبة الولد أو الشريك إلى الله -سبحانه وتعالى-. | ١٨٣٢ |
| ٢٠ | خاتمة البحث | ١٨٤١ |
| ٢١ | أهم المصادر والمراجع | ١٨٤٦ |
| ٢٢ | فهرس الموضوعات | ١٨٥٦ |


تـم بـحمد الله تعالى